

لخدمة المؤلف الى حد  
جاصه ببروف لايتيركم  
رحلة صربان ١٩٥٤

طه محمد القاضي

892.7408  
Q612aA  
C.1

# الحادي للأسنان

(طبعة الأولى)

١٩٥٣ - ١٣٧٢

بيروت - لبنان

## الكتاب العربي

للطباعة والتوزيع والنشر

Cat. 6 Oct. 53



للمؤلف :

- ١ - الحب والجمال .
- ٢ - احاديث الأمسيات .
- ٣ - على مسرح الحياة - (نحت الطبع) .



رسم المؤلف

## اهداء الكتاب

•

الى من ستسنن اذواقهم هذه الأحاديث فيقبلون على مطالعتها ، والى من ستنفر اذواقهم من هذه الأحاديث فيعرضون عن قراءتها اسوق هذه الأحاديث .

الى من سيقدحون في هذه الأحاديث ويدمرون محدثها ، والى من سيقدرون هذه الأحاديث حق قدرها ويدحرون محدثها اسوق هذه الأحاديث .  
الى من يسرني اقبالهم على هذه الأحاديث والى من لا يسُئني أزوراً لهم عنها اسوق هذه الأحاديث .

الى الذين يجدون ما يقرأون والى الذين لا يجدون ما يقرأون اسوق هذه الأحاديث .

الى الذين يقرأون والى الذين لا يقرأون اسوق هذه الأحاديث .  
الى جهابذة السياسة الذين يلعبون بمقدرات الامة العربية ومثوا الدواراً رئيسية في مأساة فلسطين اسوق هذه الأحاديث .

الى ارباب الفلسفة وأئمة الاصلاح الاجتماعي ورجال الأدب وعلماء التاريخ اسوق هذه الأحاديث .

الى الرجال والنساء على حد سواء اسوق هذه الأحاديث .

الى هؤلاء جميعاً اسوق هذه الأحاديث واهديهم كتاب احاديث  
الأمسيات .  
طه محمد الفاضي

## تمهيد

ايها القاريء الكريم

•

كتنا فاجأناك على حين غرة بيا كورة انتاجنا الأدبي (الحب والجال ومقالات اخرى) وكان هذا الكتاب وليد ساعات قليلة في تحضير مواده ونسخها واصلاح الاخطاء المطبعية فيه وطبعه . ولم نكن نفكّر في اصدار هذا الكتاب بهذا الشكل وبهذا الحجم الهزيل في الآونة الحاضرة . ولكننا اضطررنا الى اصداره كما هو بين يديك وبهذه السرعة المناسبة زيارة سمو الامير سعود آل سعود ولـي عهد المملكة العربية السعودية الى الجمهورية اللبنانية أملأاً في ان يمـن علينا سموه بمبلغ ضئيل من المال لشق طريقنا في الحياة الأدبية وخدمة الناشئة . وقد صدررنا كتابنا بكلمة اهدينا الكتاب فيها الى سمو الامير سعود آل سعود وزينـتا الكتاب برسمه . ولكن سمو الامير لم يمن علينا بما انعم الله عليه من اموال طائلة تغص بها خزانته لا بقليل ولا بكثير . فعيننا بمحيبة امل شديدة وذهبـت آمالنا كما يذهب الهماء في مهبـ الريح . ولقد عرضـنا اهداء الكتاب الى سمو الامير سعود آل سعود الى تقدـ لاذع مرـير وانهـنا النقاد والقراء اـنا نـحـترفـ الـادـبـ كـتجـارةـ

و الواقع أننا نربأ بالآدب أن يكون تجارة ولا نسمح لأنفسنا الاتجار به ،  
فالآدب فوق كل تجارة وله رسالته السامية في توجيه الإنسانية إلى الشاطئ ،  
الميمون . ويزعم الرجعيون أننا خرجننا عن الآدب والاحتشام في سياق هذا  
الكتاب فاليهؤلاء يقول :

( اننا نكتب لجمهور كبار من القراء لا لفئة قليلة . اننا نكتب للطبقات  
المثقفة الوعائية التقدمية لا إلى دعاة الرجعية والجهل والركود . وبكلمة موجزة  
تقول لهؤلاء ، أيضاً اننا نكتب لنذوي الأذواق السليمة لا إلى ذوي الأذواق  
المريضة وان ارضاء الناس غاية لا تدرك . )

وبعد ايها القاريء الكريم فإننا فاجئناك بالامس القرير بكتابنا  
( الحب والجمال ومقالات أخرى ) وهذا نحن نفاجئك بكتابنا ( احاديث  
الأمسيات ) . ولن يستأذن ايها القاريء الكريم احاديث الامسيات احاديث  
من محض الخيال ولكنها احاديث من صميم الواقع عرضت لي أثناء دراستي  
في كلية المقاصد الاسلامية في الحاضرة اللبنانية وفي جامعة القديس يوسف  
للامراء اليهود في بيروت . ولست ازعم ايها القاريء الكريم ان هذه  
الاحاديث وقعت لي في زمن واحد وفي مكان واحد ولكنها احاديث  
عرضت لي في اوقات متفرقة وفي اماكن مختلفة .

وخلالصه القول ايها القاريء الكريم ان كتاب ( احاديث الامسيات )  
الذي هو بين يديك الآن اشبه بستان جميل او أشبه بمنتزه ممتع مريح  
يحتوى على مختلف الاذاهير والرياحين والورود . ففعلاً معنى ايها القاريء  
الكريم لنقرأ الباب الاول من هذا الكتاب وندخل في جو من السياسة

العربية الواقعية وتفنن على واقع امتنا وعلاقتها بالدول الاستعمارية . ثم  
تنقل الى مأساة فلسطين ، ومن ثم الى الجامدة العربية واسباب اخفاقها في  
انقاذ فلسطين ، ومنها الى ذكرى منتصف ايار هذه الذكرى الاليمة التي لا  
ينسأها الاحرار من امتنا ان وجد في امتنا احرار .

ولتنقل بك الآن ايها القارئ الكريم الى الباب الثاني من الكتاب  
لتتفنن في محاولة الفارابي في التوفيق بين الحكمة والشريعة  
ولترى أللآخرين الفارابي في محاولته هذه ام وفق . واذا فرغت من مطالعة  
هذا الفصل فتعال معي الى الفصل الذي يليه لتأطلع على مقارنة بين الفلسفة  
الميتافيزيقية الروحية والفلسفة المادية العلمية ولترى نقاط الخلاف بينهما . ثم  
تنقل بعد ذلك لنقرأ فصلاً قصيراً يتناول الاشتراكية في الاسلام وهل في  
الاسلام اشتراكية . وما دمت ايها القارئ الكريم قد اطلمت على هذا  
كما فيه بنا الى الباب الثالث من الكتاب لتفنن في الفصل الاول منه  
على اثر السينما في الناشئة ولترى مضارها ومتاعبها ثم ننتقل بعد ذلك الى  
فصل يعالج مشكلة تعليم المرأة العربية وضرورة هذا التعليم الملحة . وتتوالى  
تنقل من هذا الفصل الى فصل آخر يعالج مشاكل الزواج ويرسم لك  
الأسس الفضفاضة للزواج الموفق .

اما الآن ايها القارئ الكريم وقد انتهينا من مطالعة الباب الثالث  
من الكتاب فتعال معي الى الباب الرابع منه لتفنن بجولة في الشعر العربي  
ولاسيما الغزلي منه ولترى ايها أخلص للآخر الرجل ام المرأة ولتفنن  
بانفسنا على اثر الثقافة الاستعمارية في نفوس ناشئتنا وكيف ان هذه الناشئة

تجهل تاريخها ثم تعال معي لنتقل الى الباب الآخر من هذا الكتاب لنرى  
أثر الحضارة العربية في حضارات الامم الأخرى رغم تجاهل المعرضين  
لهذه الحضارة .

وئمة كلمة اود أن اقولها لك أيها القارئ الكريم وهي اني  
اود ان اكون قد وفقت الى خدمتك وارجو ان لا تعلني اذا أطلت الحديث.  
وما دام النقد الاباحي وسيلة ناجعة للإصلاح فنحن رحب بكل قد  
اباحي يوجه اليها على ان تتتوفر في حضرات النقاد والقراء الكرام النية  
الطيبة والذوق السليم وعدم التحيز الى الكاتب والتعصب عليه .

ونذكر القارئ اننا جرينا هذاعلى طريقتنا في كتابنا السابق «الحب  
والجمال» فسقنا هذه الأحاديث سياقاً قصصياً على بعدها من الاسلوب  
القصصي وقربها من أسلوب البحث . وقد حاولنا ان نسوق احاديث  
الامسيات بلغة سهلة ميسورة لا غرابة فيها ولا تعقيد لتكون في متناول  
الجميع .

بيروت في ٥ رجب سنة ١٤٣٢ هـ أيار سنة ١٩٥٣ م

# مكتبة لسان العرب

## الباب الأول

احاديث سياسية

الفصل الأول

الامة العربية والدول الاستعمارية

•

قال جمال لصديقنا طريف : « حدثنا يا طريف عن الامة العربية وكفاحها ضد الدول الاستعمارية » فقال صديقنا طريف : « دع هذه المسألة يا جمال لمباذنة السياسة » ولكن جليس صديقنا طريف الح عليه وزاد في الاخراج . فاستجواب صديقنا طريف لرغبة محمد ثرو جمال فقال :

« لقد استكان الشرق العربي يا جمال وادعن للرقاد اهله من شدة النصب ، وانطفأت انوار العلم وانتشرت الاوية الفلام ، وتکانفت طبقات الجهل وغمرت الشرق العربي العزيز سحب الاسلام واستولت عليه موجة من الاطمئنان بعد ان أضناه الجهاد والاستشهاد في سبيل الذود عن وطنه ضد غارات المغول والحملات الصليبية وفي سبيل التحرر من قيود العبودية التي صفتته بها الامبراطورية العثمانية واوروبا الاستعمارية » فقال جمال « هذا ما كان من امر الشرق العربي يا طريف فهل لك ان تحدثنا

عمًا كان من امر الغرب؟» فقال صديقنا طريف «اما الغرب يا جمال فقد استيقظ وتوحدت غاياته فسار باسطاً جناحي الظلم والارهاق مكتسحاً الشرق العربي مدججاً بالسلاح فاخن الشرق العربي جراحاً بسلاحه فسارع العرب للدفاع عن حقوقهم الملووب وهبوا للنضال عن حريةتهم المغتصبة فالقووا انفسهم مكبلين بالاغلال والقيود وخيل لاوروها ان الشعب العربي اصبح سجينًا ، فتصرفت به تصرف المالك بملكه وقد تجسّم الخطر العظيم فدوت في جميع ارجاء الاقطار العربية اصوات ملوك العرب وقادة الدين والعلم الوطنيين كصوت جمال الدين الافغاني وعرابي ومحمد عبده والحسين وفيصل وزغلول والخطّمه وغيرهم من تنائج في صدورهم الغيرة الوطنية وتجيش في نفوسهم العقيدة الصادقة . فاستعدّ العرب يا جمال نداءهم وملكت عليهم نعمته السحرية المشاعر والاحساس فالتقوا حولهم ينشدون الله ان يكتب لاهل دينه النجاة والنصر وسار العرب في نهضتهم المباركة يقتدون بلادهم بأرواحهم ودمائهم ولكن على غير هدى ولا بصيرة . تارة باسم العلوية أو القينيقية وطوراً باسم الهاشمية حتى سدد الله منهم الخطى في الآونة الأخيرة فتصافحت الايدي وتوحدت الاهداف فضمنتنا في الجihad دوحة الاسلام ، وفي الاحساس وحدة العروبة وفي الالم نيل الاستقلال فامطينا اللثام وزعننا عن اليد الحديدية الفقار الحريري لنشهد الصراع بين الحرية والعبودية والكفاح بين الموت والحياة دفاعاً عن عقيدة ونضالاً عن حق وایماناً بهذه العقيدة وبراً بهذا الحق . فساهمت يا جمال طبقات الشعب في هذا الشعور وفي هذا

التفكير استمساكاً بها وسرنا جميعاً يقين المُجاهد وأطمئنان المؤمن  
تُشرف نفوسنا الكفاح والجهاد في ميادين التهذيب والاقتصاد والسياسة  
وقد ثبت للعرب أن الدولة لا تكون سليمة البنيان راسخة الأركان إلا  
بالمعارف والجندية فشيدنا للعلم دوراً وأفتنا للاشتراط مجالساً . اما الجندية  
وعليها تعتمد الأمم في صيانة الأرواح داخل البلاد وخارجها فلم يتمكن  
العرب حتى اليوم ان يظفروا بهذه النعمة .

وأما العلوم والمعارف يا جمال فصر مرکز الثقافة العربية ففي جامعاتها  
الراقية يستولد الاتجاه الفكري في العالم العربي ومن ازهرها تشم أنوار  
الأيمان فكتب مطابعها تستولي على الخواطر والأذهان فالبلاد العربية ترنو  
بأنظارها إلى القاهرة اعجاًباً تستلهمها الرشاد وتستوحى منها الجباد .

وما كاد صديقنا طريف ينتهي من حديثه حتى عاجله جمال فقال :  
« وما رأيك يا طريف في أوضاع الأقطار العربية الحاضرة؟ » فقال  
صديقنا طريف : « إن بعض الأقطار العربية يا جمال تنعم باستقلال  
سياسي تام كسوريا ولبنان التي لا تربطها بالقيود الدولية والمعاهدات  
العسكرية أية رابطة . على العكس مع مصر والعراق وشريقي الأردن وسواها  
من الأقطار العربية الأخرى التي تنعم بشبه استقلال سياسي وترزح تحت  
نير الاستعمار وما يتبعه من معاهدات عسكرية وقيود غرضها قيد  
الحرية والنيل من كرامة تلك الأقطار . على أن تلك المعاهدات والقيود  
الدولية تتفاوت فهي مخففة في مصر والعراق ومرنة في شرق الأردن .  
ولا يفوتي يا جمال ان أقول لك ان الاستعمار الأوروبي البعض اخذ

يوطد اقدامه في المغرب العربي منذ زمن غير يسير . وأن أخواننا العرب في المغرب يسامون أسوأ العذاب في عقر دارهم ويختتم على رؤوسهم كل كل الاستعمار الفرنسي بأبشع صوره وأقسى الوانه واعنف انواعه . وتبغى فرنسا الاستعمارية من وراء ذلك ان تجعل من المغرب العربي فرنسا ثانية . لكنها والله الحمد لم تنجح في مهمتها ولن تتحقق اهدافها القاتمة ما دام الدم العربي يجري في عروق اهل المغرب وما داموا يغتصبون بالحبيبة ويستمكرون بعروتهم ووطنيتهم على الرغم من كابوس الظلم والارهاق الجائع على صدورهم ذلك الكابوس الذي ينافي « شرعة حقوق الانسان » وينبذى له جبين الإنسانية خجلاً . ذلك الكابوس الذي تسلطه فرنسا على حرية الشعوب وتسخره لسبت حرية الفكر في القرن العشرين عصر الحرية والتجدد ، وعصر المدنية والتقدم .

ولما فرغ صديقنا طريف من كلامه سأله محدثه جمال عن الاسباب التي أدت الى انهيار فلسطين وانهزام جيوش العرب أمام العصابات الصهيونية . وما كاد صديقنا طريف يسمع هذه العبارة حتى تصدع لها قلبه وانفطر لهوها كبده وقال : « لا شك يا جمال انك تعلم وغيرك يعلم ان فلسطين الجريمة ناضلت عن كيانتها وذادت عن حوضها بسوانها طيلة مدة ثلث قرن او تزيد كانت خلاها في كفاح دائم ونضال مستمر لا ضد الصهيونية العالمية فحسب بل ضد الاستعمار البريطاني ايضاً . وهذا هي الثورات التي اندلعت نيرانها في فلسطين خلال ربع قرن ضد الظلم والطغيان تشهد ببطولة الشعب الفلسطيني وبسالته . وان لم تكن الثورات يا جمال

نتهي بالفوز والنصر فقد علّمت الانكليز البغاء درساً في الكفاح الشعبي وارغبتم على الاعتراف بحقّ عرب فلسطين بالحرية والاستقلال وفرضت احترام هذا الشعب المناضل على بريطانيا رغم انوف ساستها . » ثم قال صديقنا طريف « لا ريب يا جمال في انَّ النضال الشعبي في فلسطين كان ينقصه في الدرجة الاولى النظام والخبرة وفي الدرجة الثانية العتاد الحربي والقيادة الحكيمية . اعني بقولي هذا يا جمال ان الثورات التي كانت تتشعل في فلسطين بين الفينة والفينية كانت مُرتجلة وكان ينهاو بين من تزعموها هوة سخيفة . وكما كان يا جمال ينقص تلك الثورات الخبرة والتعقل فقد كان ينقص تلك الزعامة الحنكة والدرامية وبعد النظر . واري يا جمال ان تلك الزعامة كانت تضع مصالحها الشخصية ومار بها اخلاصه قبل مصالح واهداف الشعب والوطن . وكانت (النتيجة) النتيجة الختامية يا جمال لما أوجزته لك في هذا الحديث القصير انَّ اغتصبت فلسطين عنوة وشرد اهلها هنا وهناك وحل مكانهم الصهاينة حثالة شعوب الارض . إستجابة لرغبة الديمقراطيات المدعيات ونتيجة للتفكك والتخاذل والخيانات التي ولدتها بذور الشقاق التي بذرتها بريطانيا واعوانها من العرب وغير العرب بين صفوف الامة العربية . وهنا تنفس جمال الصعداء وارسل زفرات عميقه خرجت من اعماق قلبه وقال : « حدثنا يا طريف عن المملكة العربية السعودية واليمن السعيدة وسائر الامارات العربية . » فأخذت صديقنا طريف روعة الحديث والحديث ذو شجوف وراح يقص على مسامع محدثه جمال ما طلب اليه من حديث فقال : « كان يا جمال للحركة الوهابية

التي ظهرت في الجزيرة العربية فوائد جمة اذ خاصلت الاسلام مما علق  
به من شعوذات ليست من جوهره في شيء . ولكن الجهل والفقر والمرض  
لا تزال متفشية بين عرب الجزيرة على الرغم من تدفق الذهب الاسود في  
ديارهم وغيره من الثروات الطبيعية التي تدر على المسؤولين في الجزيرة  
اموالا طائلة . ولكن ولاة الشأن في الجزيرة يا جمال يتصرفون بهذه  
الاموال تصرفا لا يقبله الله والقانون وليس هذه الاموال ملكا لهم ولكنها  
من حق الشعب ويجب ان تنفق في سبيل مصلحة الشعب العامة فترصد  
لانشاء المدارس والمستشفيات ودور الايتام وملاجئ العجزة وسواءها من  
سبل الترفيه عن كاهل الشعب ورفع مستوى الثقافى والاقتصادي والصحى .  
ويبدو لي يا جمال ان من بأيديهم زمام الامر في الجزيرة يضر بون صفحات  
عن مثل هذه المشاريع لخاجة في نفس يعقوب . ولا تنس يا جمال الضربة  
التي سددتها ملك الجزيرة عندما كان مفتاح قضية فلسطين في قضيته ولا  
يزال هذا المفتاح بين يديه . فلو شاء ملك الجزيرة ان يدخل قضية فلسطين  
خلها وما كان . نعم يا جمال لو اوقف عاهل الجزيرة سيل النفط  
عن الولايات المتحدة الاميركية لانقلب السياسة الاميركية في ما يتعلق  
بفلسطين خاصة وبالشرق العربي عموماً رأساً على عقب . ولكن عاهل  
الجزيرة لم يشا ان يفعل شيئاً من هذا ولعله كان في سكرة من تدفق الدولار  
على خزانته . وكان من المستبعد يا جمال ان يقف سيف الدولار عن حاكم  
الجزيرة لأن اميركا تعمل جاهدة على جعل المملكة العربية السعودية منطقة  
نفوذهما وهو اسم للاستعمار الجديد استحدثته السياسة في القرن العشرين .

ولأن حاجة أميركا إلى النفط أكثـر من حاجتها إلى الدولار . ولو ان عاهـل الجزـرة يا جـمال استخدم سلاحـه النـاجـع لـخـل قضـية فـلـسـطـين لأـكتـسب مـحبـة الـأـمـة الـعـرـيـة واجـلالـها دون ان يـقـف سـيـل الدـولـار البرـاقـ عن خـزانـته « وـاـما الـيـمـن يا جـمال فـلا تـزال مـتأـخـرة في مـيـادـين السـيـاسـة وـالـثـقـافـة وـالـاـقـصـاد وـالـجـمـاعـ وـالـادـب وـالـفـنـ وهي مـعـقـل لـلـاحـزـار وـاتـون لـحـرـيـة الـفـكـر . » « وـلـعـلـكـ يا جـمال عـلـى يـقـين ما تـلـاقـيه سـائـر الـامـارـات الـعـرـيـة من ظـلـمـ وـطـغـيـانـ الاستـعـمـار الـبـرـيطـانـي هـذـا الاستـعـمـار الـذـي يـعـمل عـلـى خـنقـ حـرـيـاتـ الشـعـوبـ وـاستـنـزـافـ ثـروـاتـها لـخـاصـه اـنـخـاصـ وـهـوـ يـتـشـدـقـ في اـرـوـقـةـ الـاـمـمـ الـمـتـحـدةـ ( بـشـرـعـةـ حـقـوقـ الـاـنـسـانـ ) . »

وما ان أـنـتـهـيـ صـدـيقـنا طـرـيفـ منـ حـدـيـثـهـ حتـىـ بـادـرـهـ مـحـدـثـهـ جـمالـ وـقـالـ : « ما رـأـيـكـ يا طـرـيفـ فيـ الـحـكـمـ الـمـلـكـيـ وـالـوـحـدـةـ الـعـرـيـةـ ؟ـ وـهـلـ تـحـبـ الـوـحـدـةـ اـمـ الـاـتـحـادـ . »ـ فـاـسـتـجـابـ صـدـيقـنا طـرـيفـ لـرـغـبـةـ مـحـدـثـهـ جـمالـ وـرـاحـ يـسـرـدـ عـلـىـ مـسـامـعـهـ رـأـيـهـ فيـ هـذـهـ مـسـأـلـةـ الـخـطـيـرـةـ فـقـالـ :

« لاـ يـكـنـ انـ تـمـ الـوـحـدـةـ اوـ يـتـحـقـقـ الـاـتـحـادـ ياـ جـمالـ الاـ بـعـدـ اـنـ يـتـحرـرـ الـو~طنـ الـعـرـبـيـ الـكـبـيرـ منـ رـبـقـةـ الـاـسـتـعـمـارـ وـمـنـ الـمـعـاهـدـاتـ وـالـتـقـيـدـاتـ الـتـيـ لـاـ يـفـيـدـ مـنـهـاـ الـمـسـتـعـمـرـ فـيـ اـغـلـبـ الـاـحـيـاـنـ .ـ وـنـظـرـاـ نـخـرـوجـ اـسـرـائـيلـ الـىـ حـيـزـ الـوـجـودـ وـاـحـتـلـاـهـاـ مـرـكـزاـ حـرـيـاـ هـاماـ فـيـ قـلـبـ الشـرـقـ الـعـرـبـيـ وـوـقـوفـهاـ حـجـرـ عـثـةـ فـيـ سـبـيلـ الـمـواـصـلـاتـ الـبـرـيـةـ بـيـنـ الـدـيـارـ الشـامـيـةـ وـوـادـيـ الـنـيـلـ فـاـنـيـ اـحـبـذـ ياـ جـمالـ الـاـتـحـادـ وـارـىـ انـ هـذـاـ الـاـتـحـادـ اـقـرـبـ الـوـاقـعـ مـنـهـ الـوـحـدـةـ فـيـ الـآـوـنـةـ الـخـاضـرـةـ .ـ عـلـىـ انـ يـكـوـنـ هـذـاـ الـاـتـحـادـ ياـ جـمالـ

خطوة أولى للوحدة العربية الكبرى. وأما نظام الحكم الملكي يا جمال فقد اثبتت الأيام والتجارب انه يحد من حريات الشعوب ويعيق تقدمها وازدهارها . وأرى يا جمال ان تتخلص بعض البلاد العربية اخاضعة لهذا الحكم من هذا النظام البالي الموروث وتستعيض عنه بالنظام الجمهوري البرلاني هذا النظام الذي يكفل لها الحرية والتقدم في ميادين الحضارة السياسية والاقتصاد والمجتمع . وامنيتي المفضلة يا جمال ان تقوم في البلاد العربية حكومة الولايات يكون الحكم فيها لا مركزيا على غرار نظام الحكم في الولايات المتحدة الاميركية فيصبح اسم الحكومات العربية « الولايات المتحدة العربية . »

فسر يا جمال من حديث صديقنا طريف وظهرت على محياه بوادر الغبطة والحبور وصفق طرباً وقال :

« وما رأيك يا طريف في قيام (حكومة عموم فلسطين) . وهنارسل صديقنا طريف قهقهة شقت عنان القضاة وكانت تلك القهقهة تم عملاً يضطرم به صدر صديقنا طريف من الاسى والالم وقال والضحك يملأ شدقته ( ان في قيام حكومة عموم فلسطين ) في مثل هذه الظروف مهزلة جديدة جاءت لتضاف الى المهازل التي مثلت على مسرح الديار المقدسة . وعلى كل حال يا جمال فانتا ننتظر ذلك اليوم الذي يتحقق فيه هذا الحلم الجميل ويصبح حقيقة راهنه . »

ولما فرغ صديقنا طريف من حديثه قال له محمد بنه جمال :

« ان حديثك ممتع يا طريف وان طلاوته جعلتني انسى كل شيء . »

ولا تستقلني يا طريف اذا ما اطلت عليك الكلام واكثرت عليك من  
الاستلة » ثم قال جمال :

« وما رأيك يا طريف في ضم البقية الباقيه من فلسطين الى مملكة  
شرقي الاردن . »

فقال صديقنا طريف :

« ان هذه المسألة يا جمال حسناً وحسناً ، فمن حسناتها انها  
انقذت الجزء الباقي من فلسطين من الاحتلال الصهيوني وان تكررت  
على حدوده الاعتداءات ومن سبئاتها ان شرق الاردن مستعمرة بريطانية  
فيكون الانجليز خرجوا من فلسطين من باب ودخلوها من باب آخر .  
ولو كانت مملكة شرق الاردن يا جمال تتمتع باستقلال تام لما عارضنا في  
هذا الفضـ ، وكيف نعارض ونحن ننتظر بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي  
ستصبح فيه الاقطاع العربية تحت راية دولة واحدة . »

وهناهم صديقنا طريف الى الانصراف لان حديثه طال وقاد الليل  
ان يتصف فادرك جمال ما عزم عليه صديقنا طريف وقال :

« لقد اطلت عليك الحديث يا طريف ويدو لي انك سمعت هذا  
الحديث فوالله لو بقيت تحدثني حتى ينفلق الفجر ما سمعت من حديثك . »  
ثم قال :

« وما رأيك الآن يا طريف في برامح النقطة الرابعة » فقال صديقنا  
طريف : « ان لبرامح النقطة الرابعة يا جمال اهداف وغايات لا مجال

لحصرها في مثل هذا الحديث وكل ما يمكنني قوله لك الآن ان غايتها استعمار الشعوب اقتصادياً . والاستقلال السياسي لا يجدي الشعوب فعلاً اذا كانت مستعمرة اقتصادياً . و اذا ما اندلعت نيران الحرب الثالثة يا جمال يمكن الولايات المتحدة وما يدور في فاسكيها من دول ان تتخذ من البلاد التي تنفذ فيها برامج النقطة الرابعة قواعد عسكرية . وفي مثل هذه الحال تصبح هذه البلاد ميدان حرب وهدفاً لغارات الاتحاد السوفيافي الجوية .» وما فرغ صديقنا طريف من حديثه استاذن بالأنصراف ونهض من مقعده لكن جليسه جمال استوقفه وقال :

« لقد حدثنا يا طريف عن مسائل كثيرة ولم تحدثنا عن الجامعة العربية فهل لك ان تحدثنا عن هذه المؤسسة الفتية؟ . » فقال صديقنا طريف : « ان فكرة الجامعة يا جمال فكرة جميلة ولكننا لا نريدها منظمة اقليمية وجامعة حكومات : بل نريدها يا جمال منظمة عنصرية وجامعة امة . »

ثم قال جمال : « ولماذا اخفت الجامعة العربية في اقادة فلسطين يا طريف؟ » فقال صديقنا طريف :

« كانت الجامعة العربية يا جمال كاللعبة في يد المستعمر الغربي . وكانت الخطة التي اتبعتها في تحرير فلسطين خطة عوجاء مبنية عن سياسة حفقاء . وآية ذلك يا جمال ان سلمت الجامعة العربية قيادة جيوشها الزاحفة الى فلسطين الى ملك شرق الأردن اي انها سلمت هذه القيادة الى الانكليز

الذين قدّموا فلسطين الى الصهيونيين لقمة سائفة . ومهـدـوا السـبـيلـ الىـ المـلـاسـةـ الـتـيـ حلـتـ بـعـرـبـ فـلـسـطـيـنـ . وـعـلـىـ كـلـ حـالـ يـاـ جـمـالـ فـاتـ الـأـمـةـ الـعـرـيـةـ لـيـسـ مـسـؤـولـةـ عـنـ نـكـبةـ فـلـسـطـيـنـ لـأـنـهـاـ لـمـ تـهـزـمـ فـيـ مـيـادـيـنـ الـقـتـالـ وـأـنـاـ هـزـمـتـ حـكـوـمـاتـهـاـ فـيـ مـيـادـيـنـ الـسـيـاسـةـ وـسـاحـاتـ الـحـربـ . »

## الفصل الثاني ذكرى منتصف ايار

كان صديقنا طريف مختلف الى منزل زميله جمال كل مساء كعادته ليقرأ له ما يشاء من كتب الأدب والفلسفة والسياسة والصحف اليومية والاسبوعية والشهرية . وذات مساء كان جمال يقرأ لصديقنا طريف كتاب (معنى النكبة) للدكتور قسطنطين زريق ولما انتهى جمال من قراءة الكتاب قال :

« لقد اصبح منتصف ايار على الابواب يا طريف وان لهذا اليوم ذكرى اليمة في نفوسنا فهل لك ان تحدثنا عن هذه الذكرى المشؤومة؟ »  
فاستجابة صديقنا طريف لرغبة جليسه جمال وراح يحدثه عن ذكرى هذا اليوم المشؤوم والآلم يحز في نفسه والأسى يقطر من فؤاده فقال :  
« يا له من يوم مشؤوم يا جمال ويا لها من ذكرى اليمة تترقب لها نياط القلوب وتتفتحت الجسامه خطبها الاكباد .  
ان ذكرى منتصف ايار يا جمال تملاً النفس يأساً وقنوطاً وكل ما

عاودتنا ذكرى هذا اليوم يا جمال امتلأ قلوبنا أسى وتفطرت افئدتنا  
من شدة الآلام والهوان الذي امطربنا به .

لقد وقنا يا جمال سداً منيعاً بثبات ورباطة جأش امام الاستعمارين  
البريطاني والصهيوني فقارعناهما ربع قرن ونيف ونحن عزل من الاسلحة  
والاعتداء الحريمة التي كانت ترخر بها مخازن خصومنا .

وكان سلاحنا الوحيد يا جمال ايماننا الوظيد في حقنا وعزيمتنا الشديدة  
التي لم تكل ولن تتثنى عن المطالبة بحملة السلطات البريطانية الاستعمارية  
عن فلسطين الحبيبة موطننا المهدى وموطن العرب الشم الأباء .

وكنا نأمل يا جمال ان يكون اليوم الخامس عشر من ايار يوم استقلالنا  
وعزنا وهنائنا رفع فيه علمنا وتحقق في سماء بلادنا رايتنا راية الحرية .

ولكن ما لبث هذا اليوم يا جمال ان طلع علينا باستعمار جديد وذل ما  
بعده ذل فاخر جنا من بلادنا مكرهين وشتتنا في جميع الاقطار العربية  
المجاورة نام سوء العذاب ونعاني اشد الآلام النفسية بين ظهراني اقر بائنا  
ودؤينا .

ولكنتنا يا جمال لن ننسى فلسطين مهد الأباء والمهدى والدين منها  
طال الزمن ومهما كان الثمن ففلسطين يا جمال حياتنا ومماتنا ولها نحيا ومن  
اجلها نموت . »

واسترسل صديقنا طريف في حديثه وبجمال مصح اليه بكل مشاعره  
واحساساته فقال :

« لا تجربني يا مهد الكرام فمن ذاق العذق لا بد وان ينفق الشهد  
 ومن ساعده زمان سرته ازمات . نحن في معزل عنك يا ارض الاجداد  
 ولكننا حفرونا صورتك في القلوب ورسمنا قدسك في الدماغ . ولكننا الان  
 مشردون هنا وهناك بعضنا يقتات وبعضنا يقضى من شدة الطوى وبعضنا  
 يرتدي الملابس الرثة والآخرون يعيشون بالعراء ، اعذرنا يا فلسطين فنحن  
 الان كالعضو الاشل لا مأوى لنا ولا مال لدينا ولا دور للعلم ولا مصانع  
 للعمل ولا حول لنا ولا طول فقد تأبالت علينا قوى الاعداء والاقرباء وقوى  
 الديموقراطيات المدعيات . لا لا يا جمال لن نذعن للشدائدين ولن نستسلم  
 للخطوب ولن نقطع الامل من العودة اليك يا منية الارواح ومهجة القلوب .  
 بل سنعود اليك مكللين باكاليل الغفر . فانت لنا ونحن لك نديك  
 بأرواحنا وبكل ما لدينا وسنحررك من قيود العبودية التي صدك بها  
 الصهاينة والانجليز واعوانهم في العالم الجديد والشرق العربي . »

### الفصل الثالث

## مشروع التوطين مؤامرة استعمارية ضد العرب

وذات مساء كان جمال يقرأ لصديقنا طريف بعض الصحف . وما ان  
 وقع نظره على عنوان خبر ضخم مؤداه « ان هيئة الامم المتحدة أقرت  
 مشروع توطين عرب فلسطين في الاقطاع العربية » وما كاد جمال ينتهي  
 من قراءة هذا الخبر حتى طلب الى صديقنا طريف ان يبدي رأيه في هذه المسألة

الخطيرة وقال :

« وما رأيك يا طريف في هذا المشروع الذي يتحدثون عنه ليل نهار »

فقال صديقنا طريف :

« لقد آن يا جمال للشعب العربي ان يدرك امامي الصهيونية واسبابها  
في العالم العربي .

لقد آن لهذا الشعب ان يعي قضاياه ووعياً تاماً تكون نتيجته الحتمية  
الاتحاد والكفاح في سبيل وطنه المغتصب والثأر لكرامته المداسة . لقد  
حان يا جمال الوقت الذي يتحمّل فيه على الشعب العربي ان يبت كل ذنبٍ  
للاستعمار وان يزيل كل نفوذ اجنبي من بلاده هذا النفوذ الذي فرض عليه  
بالقوة وكل شيء يفرض بالقوة لا يزال الا بالقوة ولا يفلُ الحديد الا الحديد .  
ولا ريب يا جمال ان التجارب القاسية التي مررت بها الواقع المرير الذي  
نحن فيه يعلّيان على الامة العربية ان تنزع ثقتها من هيئة الامم المتحدة التي  
جاءت لتحقيق الحق وترهق الباطل ولكنها ويأسف ازهقت الحق  
واحْقَت الباطل . ومن اقطاب جامعة الدول العربية الذين خذلوا اعصابها  
بالتشاريع الكاذبة والخطب الجوفاء والبيانات المموهة . وان تعتمد امتنا  
على قوتها الشعبية وارادتها . لأن اراده الامة فوق كل شيء ومصدر كل  
شيء .

لقد آن يا جمال لشباب العرب به الاحرار ان يزعموا القفاز الحريري  
عن اليدين الحديدية ويداؤوا جدياً في العمل المتواصل لمكافحة الفقر والجهل

والمرض والاقطاعية والخروج بامتهم من هذه الفوضى السياسية التي تشكو منها الأمة كل يوم ويخلفوا بهذه الأمة المغلوبة على امرها حياة انسانية حرة وكياناً يليق بهذه الأمة .

لقد آن يا جمال للطبقة المستبرة من الامة العربية ان تدرك ان المستعمرين لا يريدون الاستيطان عطفاً عليهم وحباً بهم . بل انهم يريدونه ليقضوا على كل امل لهم في استرداد وطنهم المسلوب .

وكخطوة اولى نحو الصلح مع اسرائيل والتبادل الاقتصادي معها لانعاشها على حساب الشعب الفلسطيني وكرامة الامة العربية . ولبيداوا في حلف الشرق الاوسط الذي يتحدون عنه ليل نهار ولبيقي أجراوهم وتبقى و كانتهم قابضة على زمام امر النازحين مدة طويلة . ان المستعمرين يا جمال يريدون الاستيطان لأن النازحين بوضعهم الحاضر وفسيتهم التأيرة ووطنيتهم المتاجحة يهددون في كل لحظة نفوذهم ويشكلون قوة كاملة تهدد كيان اسرائيل طفلاً اميركا وبريطانيا المدللة . »

ثم قال صديقنا طريف :

« ايها النازحون قاوموا مشروع التوطين والتعويض بكل ما اوتيتم من قوة . انتم سكان الخيام التي تعصف بها الامطار والرياح ، وحددوا كلامكم واثاروا الكرامتكم ، فاما استرجاع فلسطين وأما الى قبور طاهرة هي والله خير من استمرار حالة الذل والركود التي تعيشونها . »

## الباب الثاني

### أحاديث فلسفية

الفصل الأول

هل حاول الفارابي التوفيق بين الحكمة والشريعة؟

•

كان الليل قد أرخى سدوله وعمت الكون الطمأنينة والسكينة . وكان جمال يقرأ لصديقنا طريف محاضرات في الفلسفة الإسلامية . وكانت معاشرة تلك الليلة عن الفارابي وابن سينا . وما كاد جمال ينتهي من تلك المعاشرة حتى طلب إلى صديقنا طريف أن يوضح له نقطة حيوية شغلت أيامه الفكر الإسلامي وار باب الفلسفة اليونانية وقال :

« هل حاول الفارابي يا طريف التوفيق بين الحكمة والشريعة؟ وهل وفق في ذلك أم اخفق؟ ». فاذعن صديقنا طريف لرغبة صاحبه جمال وقال :

« لو استعرضنا يا جمال تاريخ الفكر الإسلامي لوجدنا ان الاتساع الفكري الإسلامي قد ابشق عن مصادرتين اثنين : اولهما - مصدر الفلسفة وهو الترجمان . اي ما ترجمه وشرحه عليه

وفلاسفة العرب عن الفلسفة اليونانية وزادوا عليه .

وثانيهما - مصدر الدين وهو القرآن الكريم .

ان الغاية يا جمال من الدين والفلسفة او من الحكمه والشريعة واحدة  
مما اختلفت الطرق وتشعبت الافكار المؤدية الى هذه الغاية وقد يتفق  
الدين والفلسفة حيناً ويختلفان احياناً وربما التقيا في جميع المرامي والاهداف  
وافتقا في القليل اليسير منها . ولكن معظم رجال الدين كانوا ما كان هذا  
الدين يا جمال كالانعام لا يفهمون اصول الدين ولا يفهمون رسالته على  
حقيقةها فيؤثرون القشور على اللب ويتخبطون في بحر خضم من الجمالة  
والغباوة . وليس من المنطق السليم يا جمال ان نطلب من عامة الناس فهم  
ما جاءنا عن طريق العقل . لأن مفاهيم هؤلاء يا جمال قصرت عن ادراك  
سر ما جاءنا فكيف يمكنهم ان ينعموا ويتذذدوا بمعرفة سر رسالة الفلسفة؟  
وان يتبعوا لها الاتشار بين الجاهير وان يتخلوا عن رجعيتهم ويفقووا بين  
الدين والفلسفة . فيؤثروا الفروض الدينية ويخدموا الإنسانية بأخلاق  
ويشتركوا في الابحاث الفلسفية والعلمية الدقيقة وينخلقوا كياناً لهم وحضاراً  
وبهذا يفوزون في الدنيا والآخرة ونعم الفوز .

فن ضرب يا جمال عن الدين صفحأً واكتفى بالفلسفة رمي بالزنقة  
والسوق وكذلك كل من رمي بالفلسفة يا جمال من وراء ظهره واكتفى  
بالدين وحده رمي بالرجعية والجحود وظل تائياً في الدين خاضعاً لسنه وفروضه  
دون أن يفكر في صحيحه وفاسده ودون أن يفتح لبنات افكاره مجال

التدقيق والتمحیص في كل ما ورد عن العقل والنقل. لا لا يا جمال لن يقبل الفیلسوف بما رمی به من الحاد وفسوق ولن يظل المتدين تائماً في ظلماته بل سیبذل الاثنان كل ما في وسعهما للتوفيق بين الدين والفلسفة كما حاول الفارابي وحاول بعده ابن طفيل وابن سينا وغيرهم من فلاسفة الاسلام . »

وراح صديقنا طریف یتحدث الى جلیله جمال فقال :

« لا خلاف يا جمال بين الدين او ما نسمیه بالشريعة وبين الفلسفة او ما نسمیها بالحكمة في الأصل وإنما الخلاف بين الفلاسفة ورجال الدين ولقد حاول الفارابي يا جمال ان يوفق بين الدين والفلسفة او قل بين الحكمة والشريعة فبدأ الفارابي في محاولته هذه بآيات وجوده تعالى وهو كسائر فلاسفة المسلمين الذين بدأوا بمحاولات التوفيق هذه بآيات صانع حکیم وخالق مبدع فاطلق الفارابي يا جمال دلیل العناية وحذا حذوه سائر المفكرين المشارقة والمغاربة فقال بواجب الوجود وممکن الوجود ومستحيل الوجود وتوصل الى آيات وجود الكائن الاعظم بادلة منطقية عندما قال :

« يتعادل ممکن الوجود ووجوده وعدمه ووجوب يرجح وجوده على عدمه او العدم على الوجود وهذا المرجح يجب ان يكون بذاته واجب الوجود لكي لا يحتاج في وجوده الى مرجع آخر والکائن الذي يرجح الوجود على عدمه هو الله . » ويتضح لنا ما تقدم يا جمال ان فیلسوفنا بنی تفکیره على أنس جدل افلاطون ومنطق ارسسطو ومهد بالمقدمات الى النتائج المعينة فتوصل ابو النصر الى مكان يرمی اليه أئمة الدين فار

اختلفت الوسيلة عند الفريقيين فالغاية واحدة. وبعد انت انتهى الفارابي  
يا جمال الى اثبات وجود الخالق ذهب الى التكلم عن صفاته وهو في هذه  
القضية متقلب يعتقد الدين تارةً وتطوراً يطلقه ويختار تارةً أخرى بين  
الامرين فهو في نفي الشريك ونفي الضد ونفي الحد عن الله افلاطونياً  
اسلامياً وفي القول بان وجوده عن ذاته افلاطونياً أكثر منه اسلامياً وفي  
الأسماء التي ينفي ان يسمى بها الخالق افلاطونياً محضاً وهذه يا جمال هي  
احدي النقاط التي اخذها الغزالى عليه واما فيما يتعلق في بعد الله عن  
الصفات يخلص الفارابي الى الكون فيقف امام هذا الخالق وفقة الحائر  
فالدين يذهب الى القول ان الله قال للعالم كن فكان .

فهم ابو النصر الخلق يا جمال كما فيه «افلسطين» وقرب نظرته  
من العقيدة الاسلامية فوق حیناً وافق احياناً وسلم بالمبادئ، الثلاثة التي  
بني عليها فيما بعد ابن سينا مذهبه وهي مبادىء واضحة بسيطة تلخص  
فيما يلي :

اولاً - ان العقل عند العقول المفارقة هو الخلق .

ثانياً - لا يمكن ان يصدر عن العلة الواحدة الا معلول واحد في النوع .

ثالثاً - كل ممكن الوجود بذاته هو واجب الوجود بعلته .

ورأينا الفارابي يا جمال في نظرية القيد ايضاً يحاول التوفيق غير أنه  
رأى ان هذه النظرية الاسلامية التي وان أقررت بعد الخالق عن العالم  
تنكر كل الانكار وجود مثل هذه الكائنات القصبة للخالق عن مخلوقاته

ولذلك رأينا الفارابي يا جمال يحاول تقرير هذه الفكرة الغربية عن يديه من الأسس الإسلامية لتوضيح التناقض الذي لسه معاصروه بين النظرتين فإذا به في كثير من مقاطع كتاب «آراء أهل المدينة الفاضلة» يقارب العقول المفارقة من الملائكة وهكذا توصل إلى ادخال اغرب ما جاء من آراء في صلب الإسلام خاصة والديانات الموحدة عامة متبعاً في ذلك نهج المدارس المستغفرقة .. وانتهى أبو النصر يا جمال من جميع محاولاته التوفيقية هذه إلى الكلام عن مصير النفس فقال قوله يشابه الديانات الموحدة وثبتت الرسالة الإسلامية إلى النفس الصالحة تنعم بالجنان والنفس الشريرة تشقي في السعي فقال الفارابي قوله يشبه هذا ذاكراً أن هناك عالمًا تلقى فيه النفوس جزاء حسناتها وعالمًا آخر تلقى فيه سيئاتها بعد هذا التفصيل والعرض الشامل لأهم نقاط التوفيق بين الحكمة والشريعة نخلص إلى القول بأن الفارابي لم يوفق في جميع محاولاته بل أخفق مراراً . ولا عجب في هذا الإخفاق لأن الفارابي الباديء الأول في فتح هذا الطريق الذي سيكمله من بعده فلاسفة المشرق والمغرب عامة وابن طفيل خاصة في قصة حي بن يقطان .

### الفصل الثاني

#### بين الفلسفة الميتافيزيّة والفلسفة المادّية

وذات مساء كان جمال يقرأ لصديقه طريف محاضرات في الفلسفة

وكانت تلك المخاضرات معقدة بعيدة المنال . وما كان من جمال الا ان  
طوى الكتاب وقال :

« لقد اقتلت على يا طريف واعالت الوقت في قراءة هذا الموضوع  
الذي لم استوعب منه شيئاً ولم اتوصل منه الى نتيجة محسوبة ولم تعلق في  
ذهني منه جملة دعنا من قراءة الفلسفة يا طريف واتركها للفسقائين ولا  
تشق علينا في قراءتها وان كان لا بد من المتابعة في قرائتها فحدثنا عنها باللغة  
سهلة ميسورة لعلنا نصيب منها شيئاً او نظفر من الفائزها بشيء . واذا اردت  
ان تحدثنا يا طريف فحدثنا عن الفلسفة الميتافيزيية الروحية وعن الفلسفة  
المادية العلمية . » فلبى صديقنا مطلب محدثه جمال وراح يحدثه فقال :

« ليس من الغريب يا جمال ان تحمل على الفلسفة هذه الحملة الشعواء  
وما اكثُر الذين يتحاملون عليها لأنهم لم يسبروا غورها بعد الشقة ما بين  
مدار كهم وموضوعات الفلسفة الثالثة . وانا اذا حدثتك عن الفلسفة لا  
أزعم اني فهمتها كما يجب ان تفهم ولا يصح لي ان ادعى ذلك لأن  
الفلسفة بحر خضم لم يصل الى قعره احد » بعد . وان يكن جمهور الفلاسفة  
حاولوا خوض البحر فلا تزال محاولا لهم تقربيبة وعاجزة عن ادراك الحقيقة «  
واما الفلسفة الميتافيزيية الروحية يا جمال فترى ان هناك عالماً فوق الطبيعة  
وما وراء الطبيعة عالم هايوي اعلى من قدرة الانسان وهو المشرف على  
الكون . بينما ترى الفلسفة المادية العلمية عكس ذلك فتقول ان  
الانسان هو اعلى مخلوق في الكون وان الالوهية نفسها من نتاج تفكيره

وترى الفلسفة الميتافيزيّة الروحية يا جمال ان المعرفة بنت الفلسفة بيماترى الفلسفة المادية العلمية ان الفلسفة بنت المعرفة . وتقوم الفلسفة الميتافيزيّة الروحية على الاحسان الذي يقتل الموهاب وترى انه من واجب الاغنياء اطعام الفقراء اي ان هذه الفلسفة يا جمال تقر النظام الطبيعي وفي هذا اجحاف بحقوق الانسان . واما الفلسفة المادية العلمية يا جمال فترى ان تنقذ الانسانية من براثن التعasse والشقاء تحارب الاحسان القتال والنظام الطبيعي البغيض لتعلق العنان لموهاب الانسان الخلاق . اي ان الفلسفة المادية العلمية تأخذ على عاتقها محاربة الفقر لكي لا يكون هناك فقراء . ويزعم الدكتور شارل مالك يا جمال وهو من أئمة المدافعين عن الفلسفة الميتافيزيّة الروحية فيقول :

« هناك حقيقة تسمو على المادة العلمية وهي لا تتأثر بها . هذه هي الحقيقة الخالدة هي حقيقة الفكر والروح ، وبوسع العقل ان يطمئن اليها ويسعى متواضعا الى فهمها بدون صراع . الانسان قابل الاتصال بالعزلة الأخلاقية المطلقة بفكره وقلبه وروحه وعلى قدر اتصاله بها واستجابته لارادتها تتوقف قيمته ويتحقق في سموه . » « الله موجود وهو الأب المحب للجميع وخلق الكون » « الانسان غير قابل الكمال لأن في داخليّة طبيعته جدرة معاكسة لا تشفي بغير مساعدة فوق الطبيعة » ويعارض الدكتور جورج حنا ، يا جمال ، رأي الدكتور شارل مالك فيقول ان هذا احتقار لأنسانيّة الانسان . وهذا ما قال به كارل ماركس ولينين . وما كاد صديقنا طريف ينتهي من حديثه حتى سأله جمال فقال :

« اتدين يا طريف بالفلسفة الميتافيزيية الروحية أم بالفلسفة المادية العلمية . » فاستنكر صديقنا طريف عن الاجابة وقال :

« لا استطيع ان اجيبك على سؤالك يا جمال لأنني لم أتعقب في دراسة الفلسفتين الميتافيزيية الروحية والمادية العلمية وعندما يتم لي ذلك يتحقق لي ان اجاير برأيي واعلن معتقدى ولن اعتقد الا بما يقبله العقل ويتمشى مع الواقع . ولا يهمني ان يكون معتقدى يتفق والفلسفة الميتافيزيية الروحية أو الفلسفة المادية العلمية وانما يهمني الاصلاح منها ذلك المبدأ الذي يطمئن لصحته عقلي وترتاح لصوابه فسي . »

### الفصل الثالث الاشتراكية في الاسلام

وما كاد صديقنا طريف يفرغ من حديثه عن الفلسفة الميتافيزيية الروحية والفلسفة المادية العلمية حتى اشرأب جليسه جمال للكلام فقال :

« ما رأيك يا طريف في الاسلام ؟ وهل للاشتراكية منه نصيب ؟ »

فقال صديقنا طريف :

« ان الاسلام يا جمال لا يقر ببقاء طبقة من الطبقات او فرد من الافراد محروماً دون ان يكفل المجتمع حاجاته فهو اذاً اشتراكي في تكوينه ونظامه يكفل سعادة الفرد والجماعة . والاشتراكية في الاسلام كما يرى الاستاذ محمد حسين هيكل تقوم على اساس خلقي سامي يكفل اخاء

الطوائف وتكلفها وتعاونها على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان . وما عليك يا جمال الا ان تعود الى صدر الاسلام وتطلع على معاملة المسلمين بعضهم بعضاً فانك اذا فعلت ذلك تجد من امر الاشتراكيه الاسلامية ما تستغره كاستغره غيرك من الباحثين . » ثم قال صديقنا طريف :

« تعال معي يا جمال واستمع الى المرحوم امير الشعراء احمد شوقي وهو يتغنى في مدح الرسول الاعظم في قصيده المهزية التي مطلعها :

ولد المدى فالكائنات ضياءٌ وفم الزمان تبسمُ وثناءٌ

تعال معي واستمع الى رياض السنباطي وهو يوقع الحانه والى كوكب الشرق ام كلثوم وهي تترنم وتنشد .

الاشتراكيون انت امامهم لولا دعاوى القوم والغلواه  
دوايت متلداً وداووا طفرة وأخف من بعض الدواء الداء  
الحرب في حق لدلك شريعة ومن السموم النافعات دواء  
والبر عندك ذمة وفرصة لا منه متنونه وحياء  
جاءت فوحدت الزكاة سبيله حتى التقى الكرماء والبخاء  
أنصفت اهل الفقر من اهل الغنى فالكل في حق الحياة سواه  
فلوات انساناً تخير ملةً ما اختار الا دينك الفقراء

## الباب الثالث

### أحاديث اجتماعية

#### الفصل الأول

#### أثر السينما في الناشئة



قالت رباب لصديقتنا طريف وهي تجاوره وتبتسم :

« هل لك يا طريف ان تحدثنا عن الافلام السينائية وأثرها في أخلاق الناشئة وحياة الام » . وهنا اعتدل صديقنا طريف على مقعده وتنسواه كوبًا من عصير البرقان . ثم أتته رباب بفجحان من القهوة «علبة من السجائر الفاخرة . وراح صديقنا طريف يرشف القهوة وينفث الدخان ويحدث جليسه رباب بلباقة وطلاقه فقال :

« ان للأفلام السينائية يا رباب بالغ الأثر في تكوين الناشئة وحياة الام .  
وإذا كانت الأفلام التي يشاهدها الجمهور ترتدي طابع الخلاعة وتتنافي مع الأخلاق كان أثراها في نفوس الناشئة سبباً وفاسداً .  
واما اذا كانت الأفلام التي يشاهدها الجمهور ترتدي طابعاً اديباً وتحمل رسالة ثقافية وتأريخية  
واجتماعية كان لها اطيب الأثر في نفوس الناشئة وتقدمها الفتى والعلمي

والخلقي . وهذا أرى يا رباب انه من الواجب على اصحاب دور العرض  
الامتناع عن عرض الافلام التي يلمس فيها بعض ما يشين ويؤدي الى  
التدهور والانحطاط الخلقي . وما اشد حاجتنا يا رباب الى اصحاب دور  
عرض يتحلون بالوطنية الصادقة والخلق النبيل ويقدّرون رسالة الفن حقَّ  
قدرها ولا يستغلونها في سبيل جمع الاموال وتكديسها في خزاناتهم . ان  
وضعنا الحاضر يا رباب وخاصةً بعد نكبة فلسطين يحتم علينا ان نعرض  
لناشتتنا الافلام الحرية الحماسية التي يتمزج بها الدم بالنار ، والموت بالحياة  
والیأس بالارادة . وعلى اصحاب دور العرض يا رباب ان يكثروا من عرض  
الافلام التي تصور لناشتنا العزيزة حياة العطاء والمحترعين لعل ذلك يهيب  
بناشتنا الاقتداء بهم وينخرج من الناشئة العربية عظاماً ومحترعين وليس  
ذلك على الله بعزيز ولا على الارادة بيعيده مستحيلاً . وأرى يا رباب  
انه من واجب اصحاب دور العرض في الاقطار العربية عرض الافلام  
المهنية وتشجيع الافلام التي تساعد على تعلم المهن او التجارب الزراعية وما  
يمتُّ الى الزراعة بصلة . واذا حقق اصحاب دور العرض في بلادنا يا رباب  
هذه المطالب وعملوا بمحبها يكون الاقبال على دور العرض مشاهدة هذه  
الانواع من الافلام اسْكُنْرَ ما كان عليه سابقاً وبهذا نأخذ بيد ناشتنا  
الي الشاطئ الميمون ونوجه أمتنا الوجهة الصحيحة . ونحرر القسم الذي  
كان وما يزال من وطننا يرزح تحت قيود الاستعمار وينهض تحت عبئه الثقيل .  
واني اذ اوجّه حديثي هذا الى الحكومات العربية أهيب بالآباء والأمهات

يا رباب منع ابنائهم من مشاهدة الافلام الخليعة التي تفسد على الشباب  
ذوقهم وتنقص عليهم عيشهم وعلى الامة العربية يا رباب في كل قطر  
ومصر أن تشنّ على هذه الافلام حرّاً شعواء لا هوادة فيها ولا لين. لأن  
في هذه الحرب يا رباب رسالة سامية وجihadًا مقدساً وخدمة جلّ تؤديها  
الامة العربية الى ناشئتنا التي يتوقف على سعادتها ازدهار امتنا وعظمتها  
في المستقبل القريب . «

### الفعل الثاني

#### ايتمها الفتاة هيئاً الى العلم والعمل

كانت المزيع الاول من الليل قد اقضى وكانت رباب تقرأ لصديقنا  
طريف ما شاء من كتب ومقالات. وما لبثت رباب ان كاتت من القراءة  
وسميت من المطالعة وطلوت الكتاب ووضعته في مكانه وقالت :

« دعنا من قراءة الصحف والكتب يا طريف لنعود اليها في مساء  
غد ». وبعد ان اخذت رباب لنفسها قسطاً من الراحة قالت :

« ما رأيك يا طريف في تعلم الفتاة العربية ؟ وما رأيك في مطالبتها  
بالحقوق السياسية ؟ ومساواتها بالرجل ؟ » فقال صديقنا طريف :

« ان الخطوطات التي تخطوها الفتاة العربية في مدمار التقدم والثقافة  
والعلم تتعش لها الروح وتبشر بالأمل الوظيف في مستقبل الحياة العربية الراهن  
وفي حياتها الباسمة المشرقة الجديدة . ولا ريب يا رباب في ان الفتاة العربية

أخذت مكانها في موكب النهضة الحديثة وسارت في هذا الموكب سيراً حسناً وان كانت خطواتها في هذا الموكب بطيئةً فأنها تبشر بنهايتها المباركة هذه النهضة التي ستنتقل بها من حضيض الضمة إلى أوج الرفعة بفضل العلم والعمل .

أنا نصير الفتاة العربية يا رباب ومعها في جميع مطالبهما ، وكل ما أتمناه ان تشعر بواجباتها نحو ابنتها ، وزوجها واسرتها وبيتها ، وان تطالب بحقوقها على أسس معقولة تتمشى مع الواقع والمنطق . فمن السخف عندي يا رباب ان تطالب الفتاة العربية بتعليمها التعليم الكامل ومساواتها بالرجل وتبوئها المراكز السياسية ، وهي لا تزال تحمل شؤون تدبير منزها وتربيه ابنتها تربية صالحة ، ولكن يا للأسف فان الفتاة العربية لا تزال تحمل أسس الوظيفة التي خلقت لها وهي ولا ريب مهنتها الطبيعية . ان الفتاة العربية لا تشعر بثقل الاعباء الملقاة على عاتقها ولا تحس بجسامه المسؤولية المكلفة بأدائها . فالكثيرات من الفتيات العربيات يا رباب لم ينلن حظهن من التعليم الابتدائي . بينما تطالب فتاتنا بتعليمها التعليم الكامل ومساواتها للرجل في كل شيء ومزاجته على تسمى المراكز السياسية . «

وهنا امتلاً صدر رباب غيظاً وحنقاً وراحـت تدافع عن بـات جـسمـها فـقالـت :

ليـست الفتـاة العـربـية وـحدـها يـا طـرـيفـ جـاهـلةـ ولاـ هيـ وـحدـهاـ غـارـقةـ  
فيـ خـضـمـ منـ الأـمـيـةـ بلـ يـشارـكـهاـ فيـ الجـهـلـ والأـمـيـةـ الرـجـلـ

وان كانت نسبة المثقفات من النساء اقل منها عند المثقفين من الرجال . ومع ذلك فان الرجل المثقف والجاهل في الحقوق سواء ولم لا تكون المرأة المثقفة متساوية للرجل المثقف في الحقوق والواجبات فتنتخب وتنترخ ؟ ولم لا تكون المرأة الامية متساوية للرجل الامي في الحقوق والواجبات ايضاً ؟ ان الرجل والمرأة يا طريف خلقا من معدن واحد وليس الرجل من ذهب والمرأة من نحاس . » فأعجب صديقنا طريف بحليسته رباب واحذ بروعة حديثها ودهش من قوة دفاعها عن بنات جنسها على قلة حظها من الثقافة وراح يحدثها فقال :

« لقد اخفق رجالات العرب في الميادين السياسية يا رب اباب ، وهذا هي البلدان العربية في بلبلة واضطراب ، وقد اغتصبت فلسطين عنوة من اهلها وانتزع العدو من البلدان العربية قلبها ، وهذا اكبر دليل على وجود فئة جاهلة بين رجالات العرب ي يجب ان تحرم مما تتمتع به من حقوق لأن لا فرق بين الرجل الجاهل والمرأة الجاهلة . ولا بين الرجل المثقف والمرأة المثقفة وارى يا رب اباب ان يحرم الرجل الامي من حقوقه السياسية وان تحرم المرأة الامية من هذه الحقوق ايضاً وان تصبح المرأة المثقفة متساوية للرجل المثقف في جميع الحقوق والواجبات لها ما له وعليها ما عليه ، ولو ان الفتاة العربية يا رب اباب ضربت بمساواتها للرجل وتبونها المراكز السياسية عرض الخاط في الآونة الحاضرة وحضرت نشاطها وجهودها على محور الامية من نفوس فتياتنا وعلى تعهدها بالوسائل التربوية الصالحة وفي مطالبة ولاة شأن

في البلدان العربية ان يسنوا قانون التعليم الاجباري المجاني لها ، وان يؤسوا المدارس الابتدائية والمعاهد الثانوية والعالية تدريجياً لتلقي فتاتنا فيها العلوم التي تعود عليها وعلى الوطن العزيز بالخير والنفع العميم لأنصفت.

فإذا سلكت فتاتنا هذا السبيل يا رباب وتوفرت لديها سبل التعليم طالبت بمساواتها بالرجل ، وعهد إليها بتزاولة المهن السياسية .

هل تعلمي يا رباب ان في البلدان العربية ما يقرب من ثلاثة مليون اشأ ، يغوق عدد الامميات منهن عدد المثقفات بخمسة اضعاف .

انا ادرك يا رباب ان المرأة لا تقل عن الرجل ذكاءً ومقدرة اذا توفرت لديها الوسائل التي توفر للرجل ، ولا اريد ان تُنزوبي في عقر بيته وتنكمش على نفسها . فهي ليست حسوناً يسجن في القفص . واحث الفتاة العربية على تحطيم القيود التي لاتمت الى الحقيقة بصلة . هذه القيود التي صمدتها بها تلك التقاليد الموروثة البالية .

ولكنني أريد يا رباب بالفتاة العربية ان تقلد الفتاة الغربية في كل شيء . ولكنني اود ان تأخذ فتاتنا عن الغربية كل ما هو حسن وجميل فتفيد منه نفسها وناشتها وان تقذف من وراء ظهرها بكل ما هو سيء ومشين » . ثم قال صديقنا طريف :

« كفانا ايتها الفتاة العربية الكريمة وقوفاً امام المرأة . وتصفيقاً للشعر على احدث طراز . قولي يا رباب لفتاتنا ان تقذف الى الهاوية بسلاحها الطبيعي المعهود ، الفتنة والسرح والاهذاب !!

لقد حان يا رباب لفتنا ان تستيقظ من سباتها العميق وان تنهض  
من كبوتها . فتحن بحاجة الى فتيات مثقفات يتعمدن الناشئة بالتربيه الصالحة  
وينشئن لنا جيلاً جديداً قوي الاجسام سليم العقول . فإذا ارادت فتنا  
يا رباب ان تصل الى ما كانت - ولا تزال - تصبو اليه نفسها من تمعن  
بالحقوق السياسيه ومحاراة الرجل في كل الميادين فعليها ان تتحذى العلم والعمل  
شعاراً لها . فالعلم والعمل فقط تناول مآربها واهدافها وبهما معاً تخدم وطنها  
والانسانية . وتؤدي رسالتها على الوجه الاكمل وتحصل الى ذروة الجد  
والسدد !! « ثم قال صديقنا طريف :

« وما اشد حاجتنا يا رباب الى نساء مثقفات يعملن بجد ونشاط في  
ميادين التربية والتهدیب والأعمال الخيرية . افتا يا رباب في هذه الآونة  
العصيبة في حاجة ماسة الى امهات يغرسن في نفوس ناشئتنا العزيمة حب  
الحرية والاستقلال وكريم الخصال ويلقنها محنة الوطنية ، صفة الفضائل  
البشرية ، فإذا ما رأيت ناشئتنا على هذا النسق يا رباب لا يمكن ان تذعن  
لظلم ظالم او اجحاف مجحف بل تكون بالرغم مما تصادفه من صعاب درعاً  
للوطن وعدة تزود عن حماه في الشدائيد والملمات . !!! »

### الفصل الثاني نصيحة لأمهات المستقبل

قالت رباب لصديقنا طريف :  
« ما رأيك يا طريف في الزواج ؟ ولماذا لا يكون موفقاً في اغلب

الاحيان؟»

فابتسم صديقنا طريف وقال :

« ان مثلك مثل تلك الوصيفة التي مررت بها سيدتها فطلبت الى دكتور في الفلسفة ان يعالجها فقال لها الدكتور انه دكتور في الفلسفة لا في الطب فقالت له الوصيفة لا بأس يا دكتور فان فلسفة سيدتي مريضة او مثلك يا رباب مثل من يطلب الى طبيب انت يرسم له خريطة منزل وكان عليه ان يطلب ذلك الى المهندس ولو انك يا رباب عرضت هذه المسألة الخطيرة على الاخصائيين من علماء الحياة الجنسية وعلماء النفس والاطباء لانصفت ولا صفت الهدف لأن هؤلاء من ارباب الاختصاص والخبرة في مثل هذه الأمور وهم اصحاب الباع والذراع والقدح المعلى في هذا الموضوع الحيوى ». فقالت رباب :

« لا اريد انت اشتق عليك يا طريف ولا ان أتقل كاهمتك بهذا السؤال وإنما اريد ان تخدني لأروح عن النفس بعض الهم والام وفي حديثك الطلي اللبق ما يدخل على النفس البهجة والسرور ويذهب ماعلق بها من يأس وذكر وقوط ونكد فخذلني بما تجود به القرحة وبما وصل اليه علمك في هذا الموضوع على حداته سئل ولا اظنك يا طريف اختبرت الحياة الزوجية وووقيعت في شركها ».

فأعجب صديقنا طريف بصرامة محدثه رباب وراح يحدثها في هذا الموضوع الخطير على قصر باعه في شؤونه وعدم خبرته فيه وضاللة علمه في مثل هذه الأمور وما شاكلها فقال :

« ان الزواج يار باب واجب وطني مقدس يتحم على الحكومات العربية ان تشجعه وترعاها وتولي النسل العناية الكافية . اما قوله يا رباب « لماذا لا يكون الزواج موقفا في اغلب الاحيان » فاني ارى ان اخفاق الزواج نتيجة حتمية للتفاوت الطبعي والاجتماعي والاقتصادي والفوارق الثقافية والخلقية وللبون الشائع في مستوى التفكير وعدم التكافؤ الجنسي وللتباوت في السن بين الازواج . وارى يا رباب الا يقبل الفتاة على الزواج والا يقبل الفتى على الزواج الا بعد استيفاء السن القانونية له . واني انصح كل انسان الا يقبل على الحياة الزوجية الا بعد ان يتتأكد من زوال الفوارق التي ذكرتها في مطلع هذا الحديث والا يقبل على هذه الحياة الجديدة التي يتوقف عليها مصيره ونصيبه من سعادة وشقاء ، الا بعد روبيه وتفكير عميق وطول اonia . لان قضية الزواج قضية حيوية وهامة للغاية . فالظهور في الزواج ضار جدا ، وألام الحياة الزوجية قاسية جداً ومؤثرة ، وما بعدها آلام . وغالباً ما يكون في العجلة الندامة وفي الثاني السلام . واذا قدر للانسان من ذكر واثي ان يتزوج فلا يتزوج الا من يطمئن قلبه لقلبها او قلبها لقلبه وتألف روح الانسان روح الانسانة التي سيعيش معها وتملاً بيته ضياءً ونوراً وتألف روح الانسانة روح الانسات التي ستقضى حياتها في كنفه ويدخل الى نفسها الغبطة والسرور ويملاً بيتهما بالفرح والخbur . وعلى الشاب والشابة يا رباب الا يقبل على الزواج قبل ان يشعرا بالمحبة المتبادلة وان يستويا في هذه المحبة والشعور المقدس وفي تلك العواطف النبيلة . وعلى الازواج يا رباب ان

بحصوا دائمًا على أن تربط بعضهم بعض روابط الاخلاص المجرد عن كل غاية مادية ، وعرى الحب الطاهر النقي من كل شائبة مشينة ومرمى جسدي ، ومن المؤسف يارباب ان معظم الرجال لا يقبلون على الزواج الا من النساء المثريات لا بد افع الروابط الزوجية المقدسة بل يقصد كسب المال فيتمسوا جميع الوسائل للوصول الى اولئك المثريات بشتى انواع الحيل والخبيث والدهاء والخداع . ومتى ظفروا بحاجاتهم منهن وبلغوا ما ربهم منهن ووقعن في ما نصبوه لهن من أشراث . لا يتورع اولئك الرجال من أن يسمعن سوء العذاب ، ويدوّقون ما شاؤا من ضروب التشكيل والتنعيم والمخاتلة والتعاسة . » ثم قال صديقنا طريف :

« ينبغي على الفتاة ان تكون حذرة يا رباب وكذلك ينبغي على الفتى ان يكون حذرًا لافت النساء على جانب كبير من الخبث والبكر والدهاء . ولعلك تذكرني قوله تعالى يا رباب في سورة يوسف عندما راودت امرأة عزيز مصر يوسف عليه السلام عن نفسها مستعضاً سيدها . « أَنَّهُ مِنْ كَيْدِكَنْ » ان كيـدـكـنـ عظيم . » واري يا رباب الا تتزوج الفتاة الا من تحبه ويحبها ولو كان فقيراً معدماً . والا يتزوج الفتى الا من يحبها وتحبه ولو كانت فقيرة معدمة . ولا يضمن الحب حياة زوجية سعيدة للازواج ان لم تزل الفوارق التي ذكرتها في صدر هذا الحديث . ويتحتم على الازواج يارباب ان يتعاونوا فيما بينهم في جميع شؤونهم ومراحل حياتهم . وان يشارك بعضهم بعضاً في الافراح والآراح . واري يا رباب ان تقرن الحياة الزوجية بوجود صفات في كلا

الزوجين يحيد أحدهما تقليد الآخر فيها . وان تشعر الزوجة بزهو وسرور  
بين زوجها وغيره من معارفها ومعارفه . وعلى الزوجين يا رباب ان يشعرا  
بنقص وفراغ اذا كان أحدهما غائباً عن الآخر . وان يحبوا البقاء معًا ولو  
كانا على خصم . وانفصام مقوت في الحياة الزوجية . والجدير بالازواج  
والزوجات ان يكونوا دائمًا على وئام . وجميل جداً ان تصحي الزوجة  
بشيء من رغائبها في سبيل ارضاء زوجها . وان يضحى هو ايضاً بشيء  
من رغائبها في سبيل رضاها . واجعل من هذا كله ان تكون التضحيه  
المتبادلة ناتجة عن اختيار وسرور لا عن اكره ومغضض . ويجب ان  
تحب الزوجة صفات زوجها . وان يحب صفاتها وان يحبها  
معاً ان يرثها عنهم فلذات كبديهما فيما بعد . وعلى الزوجة يا رباب  
ان تمدح زوجها وتكبره وتجله بين رفيقاتها وتشعرهن انه عنصر متمم لها .  
ولا كيان لها بدونه .

واداً كان الازواج يا رباب قد فكروا في تبعات الزواج . وفي المنازل  
التي سيسكنونها مع زوحتهم . وفي الاولاد وكم تجب ان يكون عددهم  
وكيفية تربيتهم وكيف سيكون مستقبلهم .

واداً كانت الزوجات قد فكرن في كل هذا ووعينه وعياناً تماماً . فاداً  
توفر للازواج والزوجات نصف ما ذكرنا او يزيد فليقبلوا على الزواج ولا  
يهابو شيئاً . واداً لم يتوفّر لديهم النصف مما ذكر فلا يتزوجوا ولا يقذفوا  
بأنفسهم الى التهلكة والشقاء » !!!

## الباب الرابع

### أحاديث أدبية

الفصل الأول

جهل للتاريخ

•

وذات مساء كانت رباب تقرأ لصديقنا طريف في رسالة الغفران  
لحكيم المرة ولما بلغ بها المطاف إلى هذا البيت من الشعر :  
أعجبني أمنا لصرف الليلاني مسخت اختنا سكينة فاده  
قالت : « حقاً ان ابا العلاء جنون » فقال صديقنا طريف ساخراً :  
« رب جنون خير من العقل يا رباب » وبعد جدال طويل ونقاش  
عنيف طرحت رباب رسالة الغفران ارضاً وقالت :  
« ابني لا افهم شعر المعري وسفسطته يا طريف واني اكره ان اقرأ  
ما لا افهم وما لا يفهم . » فقال صديقنا طريف :  
« اي نوع من الكتب تودين ان تقرأ اي يا رباب » فقالت رباب :  
« احب قراءة الكتب الادبية ولا سيما الغزلية منها يا طريف »

وراحت رباب تنشد ما قاله جرير من شعر في تأثير جاذبية المرأة

عند الرجل :

ان العيون التي في طرفها حوارٌ قتلنا ثم لم يحييَن قبلاً  
يصرعن ذا اللب حتى لا حرث به وهن اضعف خلق الله انساناً  
وما فرغت رباب من انشاد ما وعنه ذاكرتها من الشعر الغزلي قال  
صديقنا طريف دعينا من الغزل يا رباب وعودي بنا الى رسالة الغفران  
تلك الرسالة التي أشعر أثناء قراءتها بلذة ومتعة . ولكن رباب أبت ان  
تعود الى رسالة الغفران لأنها كانت تكره الموري كرهًا شديداً . ومصدر  
كره رباب للموري رأيه السيء في المرأة . فاللهم عليها صديقنا طريف ان  
تتابع قراءة رسالة الغفران لكن رباب لم تستجب لرغبة صديقنا طريف  
وتناولت كتاب « جحيم دانتي » وراحت تقرأه واسترسلت في قراءته وقتاً  
يسيراً وفجأة توقفت عن القراءة وقالت :

« الا تظن يا طريف ان أبا العلاء، تأثر بجحيم دانتي لما كتب رسالة  
الغفران » فاطرق صديقنا طريف قليلاً وقال :

« كان الاولى بك يا رباب ان تقولي ان دانتي تأثر برسالة الغفران  
ما كتب جحيمه لأن دانتي اتى بعد الموري وبين شاعر الموري وحصيم  
فلورنسه وادٍ سقيق من الزمن » فسخرت رباب من نفسها وعلت محيّاها  
بودر الخجل لأنها كانت تجهل التاريخ او تكاد تجهله وقالت :

« ليس الذنب ذنبي يا طريف اذا ما جهلت التاريخ او كدت اجهله »

ولكن الذنب ذنب الاستعمار البغيض الذي وضع لنا هذه البرامج الثقافية الاستعمارية المرهقة ، انت ثقافتنا يا طريف لا تمت الى الثقافة الوطنية بصلة ولو انك سألكتني عن فكتور هيجو وعن لامارتين وفولتير وجان جاك روسو وسواهم من شعراء فرنسا وفلسفتها لما أخطأت في الاجابة . وأما سبب جهلي لتاريخ بلادي وشعراء العرب وفلسفتهم فهو الثقافة الاستعمارية الجردة من الوطنية . » ثم قالت : « ومن المؤسف يا طريف انا بقينا نسير على هذه البرامج الاستعمارية ونترجم خططاها في عهد الاستقلال . » !!!

### الفصل الثاني

#### أيهما أخلص للآخر الرجل ام المرأة ؟

ودات مساء قالت رباب لصديقتها طريف : « ايها أخلص للآخر الرجل ام المرأة يا طريف » فابتسم صديقتها طريف وقال : « لقد سئلت هذا السؤال اكثر من مرة يا رباب وكان جوابي عليه ان الأخلاص موجود عند الرجل والمرأة لكنه اكثر بكثير عند الرجال مما هو عند النساء » « وما عليك يا رباب اذا اردت معرفة رأي في المرأة الا ان تعودي الى كتابي « الحب والجمال ومقالات اخرى » وان تقرأي الفصل الاول منه « الحب كما أفهمه » بدقة وانعام نظر » ثم قال صديقتها طريف : « ولعلي انصف الرجل يا رباب اذا ما ذكرت لك مرثية جريرا في امرأته هذه المرثية التي تفيض بالعواطف النبيلة والاحساس الرقيق وراح

ينشدها هذه المريضة فقال :

لولا أخياه لعادي استعبار  
ولزرت قبرك والخبيب يزار  
في اللحد حيث تمكن المخار  
وقد نظرت ، وما تمنع نظرة  
ودزوو السماؤم من بنيك صغاري  
تصب النجوم كأنهن صوار  
نعم القرىن و كنت علق فضة  
عمرت مكرمة المسالك وفارقت  
ما ماتها صلف ولا اقتار  
كانت مكرمة العشير ولم يكن  
صلى الملائكة الذين تخربوا  
والصالحون عليك والابرار  
لا يلبث القمر ناءً ان يتفرقوا ليل يذكر عليهم ونهار  
فاعجبت رباب بعدو به شعر جريراً و بشاعريته القياضة و ديدة من هذا  
هذا الوصف واخذت بقصيده التي تنفجر نيلاً وعاطفة و اخلاصاً والخت  
على صديقنا طريف ان ينشدها بعض ما تعيه ذاكرته من هذا الشعر الجليل  
وراح صديقنا طريف ينشدها قصيدة محمود سامي البارودي التي نظمها في  
رثاء زوجه عندما ورده نعيها وهو في المنفى :

ورد البريد بغير ما املته      تعس البريد وشاد وجه الحادي  
فسقطت مغشياً على كأنما      نهشت حميم القلب حية وادي  
و لمحة رزة اطار نعيه      بالقلب شعلة مارج وقاد  
و منها :

أسليلة القمرین اي فجيعة      حلت لفقدك بين هذا الناد

اعزز على بان اراك رهينة  
 في جوف اغبر قاتم الاسود  
 كنت الضياء له بكل سواد  
 بالنفس عنك لكنك اول فادي  
 متوقعاً لقياك يوم معاد  
 ناحت ملعونة على الاعواد  
 قد كدت اقضى حسرة لم اكن  
 لو كان هذا الدهر يقبل فدية  
 او ان تبني عن قراره منزل  
 فعليك من قلبي التحية كما  
 تم قال صديقنا طريف :

« لقد كف بصر زوج الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطى الأديب العربى  
 المعروف ومع ذلك فقد ظل على وفاته واحلاصه لها الى ان استل »  
 من الحياة واستلت الحياة منه . واخشى يا رب ان اكون اثقلت عليك  
 في ضرب الامثال على اخلاص الرجل للمرأة ولا ريب ان المرأة مخلصة للرجل  
 ما دام الرجل مخلصاً لها وهي بلا ريب مصدر العاطفة الإنسانية والرحمة  
 والحنان ويفضي في المقام يا رب لا ضرب لك الامثال على اخلاص المرأة  
 للرجل ووفائها له ، وعلى المرأة ان تفخر بمرية « هنكلاد » تلك السيدة  
 التي ضربت المثل الاعلى في الإنسانية ونبيل الخلق وكرست حياتها على  
 خدمة « هنكلاد » واسعادها والتوفيق عنها . وهناك نساء كنْ السواعد  
 اليمنى لبعولتهن الحياة . » !!!

وما انتهى صديقنا من حديثه قالت رباب :

« لماذا يا طريف حمل الامام علي كرم الله وجهه على المرأة ونقم عليها  
 نفحة شديدة وهو من آل البيت والاسلام دين أنصف المرأة وأنزلها المكانة  
 اللاقة بها في المجتمع » فقال صديقنا طريف :

« لم يكن الامام علي كرم الله وجهه يارباب اول من نهى على المرأة بل نهى عليها معظم فلاسفة الاسلام ولم ينصفها بعض الانصار الا الخوارج والمؤرخ الاجتماعي ابن خلدون . ان رأي الامام علي كرم الله وجهه يارباب في المرأة سيء جداً وهو رأي شخصي بحت وليد الحالة السياسية في ذلك الوقت ونحن لا نقر هذا الرأي ولا قبله كقواعد اجتماعية تبني عليها الاحكام التي تعرف بها المزنلة الحقيقية للمرأة في تاريخ الفكر الانساني ومدى اثرها في تطور حياة المجتمع البشري » وما كاد صديقنا طريف يفرغ من حديثه حتى قالت له رباب :

« لا يمكننا يارباب ان نعمت الغيرة بالقبح أو الجمال. ولو عاملجنا الغيرة من الناحية الفلسفية لرأيناها لا تدل الا على ضعف في نفس صاحبها لكن لها قيمة خطيرة في حياة البشر . ولقد عرّفت ماري كورلي الغيرة بقولها: الغيرة كالحب وهي احدى القواعد المحرّكة للكون الى الامام في حذاتها، هي شرّ مريع غير انها لازمة لزوم المأكول والمشرب المحسد والأساد الفتور والتراخي بين الناس » ثم قال صديقنا طريف :

وطول مقام الماء في الحي " مخلق " لدبياجته فاغترب تتجدد  
فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

### الفصل الثالث

## جولات في الشعر الغزلي

ودات مساء كانت رباب تقرأ لصديقتنا طريف ما شاء من كتب  
وصحف وما انتهت من القراءة وجاء دور المسامره قالت :

« أی عشق الانسان مكرها ام مختاراً ، وهل في العشق عارٌ يا طريف ؟  
وكيف تكون حالة العاشق ؟ . » فضمنت صديقتنا طريف طويلاً وقال :  
« لقد سبق لي يا رباب ان حللت هذه المشكلة وأرني ان تعودي الى  
الفصل الاول من كتابي « الحب والجمال ومقالات اخرى » وانت اذا  
عدت الى هذا الكتاب ستتجدين فيه الجواب الكافي على ما يحول في  
خاطرك من أسئلة وتفاوهات بضالتك المشودة . » واستطرد صديقتنا طريف  
في حديثه وقال :

« لا حيلة يا رباب للعاشق في ان يعشق او لا يعشق وليس في العشق  
عار . وراح ينشد رباب قول ابي نواس في العشق فقال :

أبي عشت و ما بالعشق من باس . ما مرّ مثل الهوى شيء على رامي  
مالـي وللنـاس كـم يـانـحـونـي سـفـهـا دـينـي لـنـفـسـي وـدـينـالـنـاسـ لـنـاسـ  
ثم اـشـدـهـا قول اـبـي نـواـسـ في حـالـةـ العـاشـقـ فقال :

حاملُ الهوى تعبٌ يستخفه الطرفُ  
 ان بكى يتحقق له ليس ما به لعبٌ  
 كلام انقضي سببٌ منك عادلٌ سببٌ  
 تعجبين من سقعي صحيٌ هي العجب  
 تضحكين لاهيَ والحبُ ينتصبُ  
 ولما فرغ صديقنا طريف من كلامه قالت له رباب :

« هل تستطيع يا طريف ان تلمس الفرق بين القبح والجمال وكيف  
 تدرك ان هذه الفتاة جميلة وتلك الفتاة قبيحة؟ » فابتسم صديقنا طريف  
 وقال : « اشعر في قرارة نفسي يا رباب بالقبح والجمال وألمس الفرق بينهما  
 واذا ما جلست مع فتاة وتبادلتم معها اطراف الحديث ادرك انها جميلة  
 اذا كانت حقاً جميلة وكذلك ادرك انها قبيحة اذا كانت حقاً قبيحة .  
 اما كيف ادرك ذلك يا رباب فلا استطيع تحديده وكل ما يمكنني ان  
 اقوله في هذه المسألة اني اعتقد ان ذلك يعود الى شعور داخلي ذلك الشعور  
 الذي ينبثق عن قوة الحيلة وهو أشبه بالايحاء . »

وكانت رباب على جانب واخر من المجال ذات جاذبية مغناطيسية لها  
 اثرها الفعال في عقول الرجال . وكانت تعتد بنفسها وتعجب بشخصيتها  
 اعجباباً يصل بها الى حد الغرور والكبرباء . وكانت تظن ان صديقنا  
 طريف لا يدرك انها جميلة او قبيحة لانه لا يبصر وكيف يمكن من فقد  
 النور من عينيه ان يدرك المجال والقبح وان يفرق بينهما . ولكن صديقنا  
 طريف ادرك منذ الوهلة الاولى ان محدثته رباب جميلة جداً ومحظوظة

متفرجة ولكنها كان لا يشير الى شيء من هذا القبيل ويتجاهل كل شيء  
لناقة له فيه ولا جهل . وكان صريحاً يحب الصراحة ويدعى الحاملة ولا  
يحب أن يعامله الناس ويكره أن يعاملهم .

وذات ليلة كانت رباب تقرأ لصديقتها طريف بعض الكتب الأدبية  
والمقالات السياسية وما انتهت من القراءة قالت أنا أحب جريراً طريف  
وكيف لا أحبه وهو القائل :

ان العيون التي في طرفة حور فلتلقا ثم لم يحيين قد لانا  
يصر عن ذا اللب حتى لا حرث به وهن اضعف خلق الله انسانا  
وما أنشدت رباب هذين البيتين من الشعر ادرك صديقنا طريف  
الفن الأدبي الذي يوافق مزاج حنان وتحبه وتحب الاحاديث عنه مما  
طالت تلك الاحاديث ومما كثرت فضحك صديقنا طريف ملء شدقته  
وقال في نفسه صدق الشاعر القائل :

خدعواها بقولهم حسناً والغواي يغرهن النساء  
ثم أشد صديقنا طريف ما حضره من شعر الاختلط في النساء ليغطي  
به رباب وكانت متخمسة للمرأة تكره من يكرهها وتكرم وتحتفظ بمن  
يدافع عن المرأة ويمجدتها فقال :

كذبتك عينك ام رأيت بواسط  
غلس الظلام من الرباب خيالا  
وتعرضت لتروعننا جنية  
والغانيات يرثك الاهوالا

و اذا وزنت حلومهن مع الصبا  
رجح الصبا بحومهن فاما  
و اذا رأيت كمكرهن اذا بدا  
فينا ولا كحباهن حبلا  
يرعين عهلك ما رأينك شاهدا  
فاما بذلك يصرف عنك فوالا  
و اذا وعدنك قائلأ اخلفنه  
و وجدت عند عاداتهن وطلا  
و اذا دعونك عهن فانه  
نسب يزيدك عندهن خبلا  
وما كاد صديقنا طريف يتم انشاد هذه الایات حتى قالت له رباب:  
« ليس هذه الایات من شعر الاخطر يا طريف لأنها ایات معقدة  
والاخطل شاعر اموي واغلب الفتن ان هذه الایات من الشعر الجاهلي »  
وراح صديقنا طريف يقنع رباب ويثبت لها ان هذه الایات من شعر  
الاخطل لكنها قالت له :

« ما لنا وللشعر الجاهلي وما لنا ولشعر الاخطل . فانا لا استسيغ هذا  
النوع المقد من الشعر وقد قرأت معلقة عنترة العبسي وهو شاعر جاهلي  
فااستسغت من ایاتها ولا وافق ذوق منها سوى يبتان اثنان وراحت تنشد:  
ولقد ذكرتك والرماح نواهل  
مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقيل السيف لانها

لمت كبارق ثغرك المتسم

ثم قالت ابي اسکره الشاعر العباسي حبيب بن اوس الطائي واقبح  
شعره لانه اكثراً تعقيداً وصعوبة من الشعر الجاهلي لكثره ما فيه من  
تشابيه واستعارات وتوريه وكنيات ومفردات غريبه وكل ما اعجبني من  
شعر ابي تمام قوله :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحينه ابداً لاول منزل

قال صديقنا طريف :

« كان حبيب بن اوس الطائي يغوص على المعاني وكانت المعاني لا  
تأتيه عفواً ودون تكلف ولذلك كان شعره معقداً غامضاً لا يفهم الا  
الراسخون في الأدب وعلم البيان والبديع وفطاحلة البلاغة والصرف وان  
خاصائص شاعرنا لا تطبق على هذين البيتين ولو تناول النقاد هذين البيتين  
ونقدوهما فانهم ينفون نسبتها لابي تمام وان صحت روايتها له » ثم قال  
صديقنا طريف :

« كان ابو تمام يا رباب قوي الفكر غزير المعاني كثير الابتكار وكان  
يعتمد الاغراب وشعره مزدحم بالطبق والجناس وتغلب عليه الصناعة اللغظية  
ومع ذلك فان شعره جليل » ثم انشد صديقنا طريف رباب ما نظمه ابو

تَمَامٌ فِي وَصْفِ الْقَلْمَ وَهُوَ وَصْفٌ رَائِعٌ فَقَالَ :  
 لَكَ الْقَلْمُ الْأَعْلَى ، الَّذِي بِشَبَانَهِ تَصَابُ ، مِنَ الْأَمْرِ ، الْكُلُّ وَالْمُفَاصِلُ  
 لَعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتُ لَعَابُهُ  
 وَأَرَى الْحَبْنَ اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلُ  
 لَهُ رَقَةٌ وَطَلْلٌ وَلِكَنْ وَقْبَاهُ  
 بَآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَربِ وَابْلُ  
 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبُ  
 وَاعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ  
 إِذَا مَامَتْضِيَ الْخَمْسُ الْلَّطَافُ وَأَفْرَغْتُ  
 عَلَيْهِ شَعَابَ الْفَكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ  
 اطَّاعَتْهُ اطْرَافُ الْقَنَاءِ وَتَقْوِضَتُ  
 لَبْجَوَاهِ تَقْوِيْضُ الْخَيَامِ الْجَحَافِلُ  
 إِذَا اسْتَعْزَزَ الْذَّهَنُ الذَّكِيرُ وَأَقْبَلَتُ  
 اعْالَيْهِ فِي الْقَرْطَاسِ وَهِيَ اسْفَلُ  
 وَقَدْ دَمَرَتْهُ الْخَنَصِرَانِ وَسَدَّدَتُ  
 ثَلَاثُ نَوَاحِيهِ الْثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ  
 رَأَيْتُ جَلِيلًا شَانِهِ وَهُوَ مَرْهُوفٌ  
 غَنِيًّا وَسَمِينًا خَطْبَهُ وَهُوَ نَاهِلٌ  
 وَمَا كَادَ صَدِيقُنَا طَرِيفٌ يَنْتَهِي مِنْ انشادِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ حَتَّى قَالَ  
 رَبَّابٌ : « الْحَقِيقَةُ يَا طَرِيفُ إِنْ مَعْظَمَ شِعْرِيَّ تَمَامٌ لَا يَفْهَمُونَ وَلَا يَسْتَسْعَى »  
 فَقَالَ صَدِيقُنَا طَرِيفٌ :

« انْصَحِّكْ يَا رَبَّابَ إِنْ لَا تَقْرَأِي مَا لَا تَفْهَمِنَ . وَلَا يَؤْخُذْ عَلَيْ إِيَّيِّ  
 تَمَامٌ إِنْ يَقُولَ مَا لَا يَفْهَمُهُ النَّاسُ بَلْ يَؤْخُذْ عَلَيْهِ النَّاسُ إِنْ لَا يَفْهَمُوا مَا  
 قَالَ أَبُو تَمَامَ وَأَمْثَالُهُ ». وَرَاحَ صَدِيقُنَا طَرِيفٌ يَقْصُ عَلَى مَسَامِعِ رَبَّابٍ قَصْةُ  
 امْرِيٍّ ، الْقَيْسِ وَابْنَةِ عَمِّهِ الَّتِي يَسْمِيهَا فِي مَعْلَقَتِهِ تَارَةً بِعَنْيَزَةٍ وَتَارَةً بِفَاطِمَةٍ . ثُمَّ  
 انشَدَ صَدِيقُنَا طَرِيفٌ رَبَّابٍ قَسِيًّا مِنْ مَعْلَقَةِ امْرِيٍّ ، الْقَيْسِ فَقَالَ :

قَفَا نَيْكَ مِنْ ذَكْرِي حَبِيبٍ وَمَرْزِلٍ بِسَقْطِ الْلَّوِي بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلَ  
 كَانِي غَدَاءَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى سُمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَتَّى نَظَلَ

ففاقت دموع العين مني صباية  
 على البحر حتى بل دمعي محلي  
 و يوم عقرت للعذاري مطيري  
 فظل العذاري يرتعن بل حمهما  
 ولاد خلات اندر خدر عنبرة  
 تقول وقد مال الغبيط بنا معًا  
 فقلت لها سيري وارخي زمامه  
 افاطم مهلا بعض هذا التدلل  
 اغرك مني ان حبك قاتلي  
 وما ذرفت عيناك ملا لتضري  
 فان كنت قد ساءتك مني خلقة  
 وبيضة خدر لا يرام خباوها  
 نسألت عميات الرجال عن الهوى  
 وليس فؤادي عن هواث بنسل  
 ولما انتهى صديقنا طريف من انشاد الایات الغزلية من معلقة امرىء  
 القيس قال :

« هذه ایات من شعر امرىء القيس وهو شاعر حضري وجداي  
 ويلقبه الفقاد رأس الشعرا القداماء يا رب ام اشدها البيت الذي وصف  
 به امرؤ القيس جواده قال :

مكراً يمفر مقبل مدبر معًا كجل Mood صخر حطه السيل من عل  
 ثم اشدها الایات التي وصف بها امرؤ القيس الليل فقال :  
 وليل كموج البحر ارس سدوله علي بأنواع الهموم ليتلي

فقلت له لما تعلق بصلبه وارتفع اعجازاً وناء بكل كل  
الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الاصباح منك بامثل  
فيما لك من ليل كان نجومه بكل مغار الفتل شدت ييذ بل  
و ذات مساء كانت رباب تقرأ صديقنا طريف رباعيات عمر الخيم  
وما انتهت من قراءتها قالت :

« ييدولي يا طريف ان عمر الخيم كان زنديقاً فاسقاً و اكبر الظن انه  
كان ملحداً لا يدين بدين ولا يقر بالالوهية » ثم قالت :

« دعنا يا طريف من عمر الخيم وزندقتة وحدثنا عن خفة روح الشاعر  
الا كمه بشار بن برد لنرفه عن نفسينا لاني مللت القراءة من رباعيات عمر  
الخيم ولزوميات المعري وجهم دانتي وسفسطة سقراط وارسطو وافلاطون  
وغيرهم من فلاسفة اليونان واظن انك يا طريف مللت مثلی من مطالعة  
هذا النوع من الكتب » فافترى طريف صديقنا طريف عن ابتسامة لا تنم عن  
الرضى لحدث رباب والاطمئنان له ، وراح صديقنا طريف يحدث رباب  
عن خفة روح بشار بن برد فقال :

أجمع الناس يا رباب على ان بشاراً كان زنديقاً وقد قتل بمحنة الزندقة  
والاخاد . وليس الزندقة يا رباب التظاهر بالاسلام وابطان الميل لغيره من  
الديانات بل هي الاستهزاء بالفروض الدينية . كقول الزنادقة من ان يقبل  
الصلوات الحس متغرة يقبلها جملة ولا ريب ان بشاراً كان زنديقاً الا أنه  
لم يقتل من اجل الزندقة والاخاد بل قتل لانه تعرض للسياسة ولهمجا ، الخليفة  
والوزير » ثم قال صديقنا طريف :

« لا شك يا رب بشار في ان بشاراً كان خفيف الروح ، حلو الحديث  
 وراح يقص عليها قصة الاعرابي الذي سأله بشاراً عن موقع بيته احد  
 الناس وكيف ان بشاراً اخذ يدل ذلك الاعرابي على ذلك المنزل فلم يفهم  
 الاعرابي من بشار فأمسك بشار بيده وقاده الى المنزل وهو يقول :  
 اعمى يقود بصيراً لا ابا لكم قد ضلّ من كانت العميان تهديه  
 ثم قال بشار للاعرابي ( هذا هو البيت يا اعمى ) ثم انقل صديقنا  
 طريف الى الحديث عن المنزل والتهكم عند بشار فقال :

« قيل يا رب بشار ان بشاراً كان له حمار وبعد ان مات حماره رآه في  
 منامه وقال له « لم مت الم اكن احسن اليك » ثم انشد قائلاً :

سيدي خذ في أناها	عند باب الاصبهاني
تيمتني ببناته	وبدل قد سباني
تيمتني يوم رحنا	بثنائيها الحسان
وبنفح ودلال	سل جسمي وبراني
ولها خد اسيل	مثيل حب الشيفراني
فإذا مات ، ولو عشت	اذ طال هوانى

ثم انشد زميلنا طريف ما قاله بشار في جاريته « رب بشار » قال :

ربابة رببة البيت	تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات	وديك حسن الصوت

وما كاد صديقنا طريف ينتهي من انشاد هذين البيتين حتى قالت

له رب بشار :

« ييدو ان بشاراً كان يحب اكل البيض » فابتسم صديقنا طريف

وقال :

« روى عن بشار يا رباب انه كان يحب اكل البيض وكانت لا  
يأكله الا من يرضي دجاجات جارته رباب ، وكانت رباب تحب الأدب  
والادباء ، ولا سيما الغزلين منهم » وألحت على صديقنا طريف ان يحدثها  
عن فن الغزل عند بشار بن برد ، فقصص عليها صديقنا طريف قصة بشار  
ومعشوقة عبده وراح ينشدتها بعض ما نظمه بشار في معشوقته فقال :

يا عبد يا جافية قاطعة      أما رحمت المقلة الدامعة

يا عبد خافي الله في عاشق      يهواث حتى تقع الواقعة

يا عبد حبك شفني شفنا      والحب داء يورت الحتفا

يا عبد يخفيه الحب لكيلا      يستراب به فلا يختفي

يا عبد اني اليك بالاشواق      للاقى وكيف لي باللاقى

انا والله اشتاهي سحر عينيك      واخشى مصارع العشاق

يا عبد اني للي ولكن لم انم      ونفى عنى الكرى طيف ألم

ان في برمي جسماً ناحلاً      لو توكتات عليه لانهم

واذا قلت لها « جودي لنا »      خرجت بالصمت عن لا ونم

فأخذت رباب بغزل بشار واستغربت ان يشتهي الشاعر الاكمه

شار بن برد الذي لم ير الدنيا قط سحر عيني معشوقته عبده . وقالت :

« انك يا طريف شاب ناهض واسع الاطلاع وحديثك طلي ومنت

فهل لك ان تحدثنا عن شاعر الخمر يات الحسن بن هانئ المعروف بابي نواس »

قال صديقنا طريف :

« لقد طرق ابو نواس يار باب فنونا كثيرة من الشعر و يضيق بي  
الوقت ان احدثك عن بعضها في هذه الجلسة القصيرة وقد ولی المزيع  
الاول من الليل وحان وقت النوم » فقالت رباب :

« اذا لم يبق لديك من الوقت ما تحدثنا فيه عن ابي نواس فحدثنا  
عن كتاب البخلاء للجاحظ فابي مغرمة بساع قصص البخلاء وان كانت  
من باب الاقصيص والخرافات » فحار صديقنا طريف والغى نفسه في مأزق  
حرج لانه لم يحفظ قصة من قصص البخلاء التي اوردها الجاحظ في كتابه  
« البخلاء » فقال وحمرة الخجل تعلو محياه :

« لا اذكر قصة من قصص كتاب البخلاء للجاحظ لكن في هجاء  
ابي النواس مقطوعات هجا بها الحسن بن هانىء بعض البخلاء » فقالت رباب :  
« هل لك يا طريف ان تسمعين ما تحفظه من هذه المقطوعات فأنشد  
صديقنا ما حفظه من شعر ابي نواس في البخلاء قال :

خنز الخصيب معلق بالكوكب يحمى بكل متفق ومشطب  
جعل الطعام على بنية محromaً قوتاً وحلله لمن لم يسعف  
فاذما هم نظروا الرغيف تطربوا طرب الصيام الى أذان المغرب

خنز اسماعيل كالوشى اذا ما انشق يرى

رغيف سعيد عند عدل نفسه يقلبه طوراً ، وطوراً يلاعنه

ويخرجه من كمه فيشهه وينحشه في حجره ويختبه  
 وان جاءه المسكين يطلب فضله فقد ذيكته امه واقاربه  
 يكر عليه الصوت من كل جانب وتكسر رجاله ويتفسّر به  
 ثم اشد صديقنا طريف رباب قول أبي النواس في العباية اخت  
 الرشيد فقال :

الا قل لامين الله وابن القادة الساه  
 اذا ما ناكث سرك ان تفده رأسه  
 فلا تقتله بالسيف وزوجه بعباسه  
 وانشدتها ايضا هجاءة أبي النواس لافضل بن يحيى فقال :  
 بما اهجوك؟ لا ادري لساي فيك لا يجري  
 اذا فكرت في عرضك أشفقت على شعري  
 ولما فرغ صديقنا طريف من حديثه عن أبي نواس اخذت  
 رباب بشاعرية شاعرنا واعجبت بخفة روحه وبوصفه الجليل وقالت :  
 «أبي احب الادب يا طريف فهل لك ان تحدثني عن فن الغزل في  
 الادب العربي». .

فسرد صديقنا طريف على مسامع رباب موجز ترجمة عمر بن أبي ربيعة  
 الخزومي وقص عليها قصص تعرضه للحواج وقصصه مع الثريا وهند  
 ونعم وروى لها حديثه مع سليمان بن عبد الملك عندما قال سليمان بن  
 عبد الملك لعمر «لم لا تحدثنا يا عمر» فأحاب عمر «انا لا امدح الا  
 النساء» وراح صديقنا طريف ينشد لرباب قصيدة عمر الراية المشهورة قال:

غداةً غدِيَ ام رائج فهجر  
 فتبليغ عذراً والمقالة تعذر  
 ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر  
 ولا نأيها يسلِي ولا انت تصبر  
 اهذا المغيري الذي كان يذكر  
 وعيشك أنساه الى يوم أقرب  
 سرى الليل يحيي نصه والتهجر  
 عن العهد والانسان قد يتغير  
 وراح صديقنا طريف ينشد رباب قصيدة عمر يتناً حتى انى عليهما  
 كلها وهي قصيدة تقع في نيف وخمسين يتناً . وما انشد صديقنا طريف  
 الايات التي تصور مكر النساء وحيلهن الحت عليه رباب ان يعيد ما انشد  
 فانشدها اكثُر من مرّة الايات التالية :

أقصٌ على اختي بدء حديثنا ومالى من انت تعلم متاخر  
 لعلهم انت تطلبنا لك مخرجاً  
 وان ترحبنا سر يا بما كنت احضر  
 فقامت كثيئاً ليس في وجهها دم  
 من الحزن تذري عبرة تحدّر  
 فقلت لاختيها : اعينا على فقي  
 فقامت اليها حرناً عليها  
 كاء ان من خز دمّقس واخضر  
 فاقبّلتها فارتاعتا ثم قالتا «أقلي عليك اللوم فانخطب اسر»  
 فقالت لها الصغرى : ساعطيه مطوفي  
 ودرعي وهذا البرد ان كانت يخدر

فَلَا سُرْنَا يَغْشُو وَلَا هُوَ يَظْهِرُ  
 ثَلَاثٌ شُخُوصٌ كَاعْبَانَ وَمُعَصْرٌ  
 أَلْمَ تَنَقِّ الْأَعْدَاءِ وَاللَّيلُ مَقْعُرٌ  
 امَا تَسْتَحِي او تَرْعُوي او تَفْكُر ؟  
 لَكِي يَعْلَمُوا انَّ الْهُوَى حِيثُ تَنَظُّرٌ  
 وَلَاحَ لَهَا خَدٌ تَقِيٌّ وَمُخْرٌ  
 الْأَذِيدُ وَرِيَاهَا الَّذِي اتَذَكَّرَ  
 يَقُومُ فِيمَشِي يَيْنَنَا مُتَنَكِّرًا  
 فَكَانَ مَجْنِيْ دُونَ مِنْ كُنْتَ اتَّهِي  
 فَلَمَا اجْزَنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قَلَنْ لَيْ :  
 وَقَلَنْ : اهْذَا دَأْبُكَ الدَّهْرِ سَادِرًا  
 اذَا جَئْتَ فَامْنَحْ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرَنَا  
 فَآخَرُ عَهْدِ لَيْ بِهَا حِيثُ اعْرَضْتَ  
 هَنِيَّا لَاهْلَ الْعَامِرِيَّةِ نَشَرَهَا  
 ثُمَّ اشْدَهَا قَوْلَ عَمْرٍ :

لَيْتَ هَنَدَا انجِزْنَا مَا تَعْدُ  
 وَاسْتَبَدَتْ مَرَةً وَاحِدَةً  
 زَعْمُوهَا سَالَتْ جَارَاتِهَا  
 اَكَا يَنْعَثُنِي تَبَصِّرْنِي عَمْرُكَنْ "الله ام لا يَقْتَصِدْ"  
 غَادَةً يَفْتَرُ عَنْ اشْنَهِمَا حِينَ تَجْلُوهُ افَاحٌ او بَرْدٌ  
 وَرَاحَ يَنْشِدُ الْقَصِيدَةَ يَيْتَا يَيْتَا حَتَّى اُتَى عَلَيْهَا كُلُّهَا وَكَانَ الْاِيَّاتِ  
 الَّتِي أَعَادَ انشادَهَا صَدِيقَنَا طَرِيفَ مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ :

نَحْنُ اهْلُ الْخَلِيفَ مِنْ اهْلِ مَنْيٍ مَا لَقْتُولُ قَتَلَنَا هَوَدٌ  
 قَلَتْ «اهْلًا» اَنْتُ بِيَنِتَنَا فَتَسَمَّيْنِ ، فَقَالَتْ «اَنَا هَنَدٌ»  
 اَنَّمَا اهْلُكَ جِيرَانٌ لَنَا . اَنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْ اَحَدٌ  
 كَلَا قَلَتْ مَتَى مِيَادِنَا ضَحَّكَتْ هَنَدٌ وَقَالَتْ «بَعْدَ غَدٍ»  
 فَبَدَتْ عَلَى مَحْيَا رَبَابِ بُوادرِ الْحَبُورِ وَنَاوَلَتْ صَدِيقَنَا طَرِيفَ كَاسَا  
 مِنْ عَصِيرِ الْبَرْتَقَالِ وَنَاوَلَتْ هِيَ كَاسَا وَرَاحَتْ تَحْدَثُ صَدِيقَنَا عَنْ قَيْسِ

وليل و عن قيس ولبني و عن روميو وجولييت و راح هو يحدثها عن جليل  
بن معمر و بنتنة و عن كثيير عزوة و عن قيس بن عبد الله الرقيات . ثم  
قص صديقنا طريف على مسامع رباب قصة أبي الحسن بن ذريل البغدادي  
الشاعر المشهور مع ابنته عمه و انشدتها قصيده التي وجدت مكتوبة في رقة  
تحت وسادته ليلة ان قضى نحبه فقال :

لا تعذليه فان العذل يوعله      قدقلت حقاً ولكن ليس يسمعه  
جاوزت في لومه حداً اضر به      من حيث قدرت ان اللوم ينفعه  
فاستعمل الرفق في تأنيبه بدلاً      من عنقه فهو مضى القلب موجعه  
قد كان مضطلاً بالخطب يحمله      فضيقت بخطوب البين اضله  
يكفيه من لوعة التغفيف ان له      من النوى كل يوم ما يروعه  
وراح صديقنا طريف ينشد القصيدة بيتأ يتاماً حتى أتى عليها كلها  
لكنه أضطر الى ان ينشد الايات التالية مرات و مرات :

استودع الله في بغداد لي هرأ      بالكرخ من فلك الا زرار مطلعه  
ودعنه ، وبودي لو يودعني      صفو الحياة واني لا اودعه  
وكم تشفع اني لا افارقه      وللضروريات حال لا تشفعه  
وكم تشتبث بي يوم الرحيل ضحي      وادمعي مستهلاً وادمعه  
لا اكذب الله ثوب العذر من خرق      اني اوسع عذرني في جناته  
اني اوسع عذرني في جناته      بالبين عنه ، وقلبي لا يوم عده  
اعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته      كذلك من لا يسوس الملك يخلعه  
ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا      شكر الاله فعنده الله يرمي عه

أعْتَضْتُ عن وجهِ خليٍّ بعد فرقته  
كاساً أجرعاً منها ما أجرعه  
كم قاتل لي ذقت البين قلت له الذنب والله ذنبي لست ادفعه  
لا يطمئن لجني مضمون وكذا لا يطمئن له مذ بنت مضمونه  
ما كنت احسب ان الدهر يفععني  
به ولا ان بي الايام تفجعني  
حتى جرى الدهر فيما يبتنا به عسراً تمنعني حضي وتنعنه  
باقه يا منزل القصر الذي درست  
آثاره وعنة مذبت اربعه  
هل الزمان معيد فيك لذتنا  
في ذمة الله من اصبحت منزله  
من عنده لي عهد صدق لا أضيعه  
لأصبرن لدهري لا يمتنعني  
علياً بان اصطباري معقب فرجاً  
واضيق الأمر ان فكرت اوسعه  
علـ الـليـاليـ التـيـ اـخـتـ بـفـرـقـتـناـ  
جـسـميـ سـتـجـمعـنـيـ يـوـمـاًـ وـتـجـمـعـهـ  
وانـ تـنـلـ اـحـدـاـ مـنـيـهـ فـاـ الـذـيـ بـقـاءـ اللـهـ يـصـنـعـهـ  
نم حدث صديقنا طريفاً رهاب عن الوزير بن زيدون وعن محبو بنه  
ولادته وانشدتها قصيدة ابن زيدون في ولاده فقال :  
اضحي الثنائي بدليلاً من تدانيا وناب عن طيب لقيانا تجافينا  
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

تُكَاد حِين تَنَاجِيك ضَمَائِرنا يَقْضي عَلَيْنَا الأَسْى لَوْلَا تَأْسَيْنَا  
 حَالَت بَعْدَكِ إِيَامَنَا فَغَدَت سُودًا وَكَانَت بَكِ يَضَا لِيَالِينَا  
 أَذْ جَانِبُ الْعَيْش طَلْقٌ مِنْ تَأْلِفَنَا وَمُورِدُ الْلَّهُو صَافٍ مِنْ تَصَافِنَا  
 وَإِذْ هَصَرْنَا غَصُونَ الْأَنْس دَانِيَة قَطْوَفَهَا فَجَنِينَا مِنْهَا مَا شَيْنَا  
 لَيْسَ عَهْدَكِ عَهْدُ السَّرُور فَهَا كُنْتَ لَارْوَاحَنَا إِلَّا رِيَاحِنَا  
 وَرَاحَ صَدِيقَنَا طَرِيفٌ يَنْشِدُ الْقَصِيدَة يَنْتَأْتِيَ حَتَّى إِلَيْهَا كَلَّا  
 وَأَلْحَتْ عَلَيْهِ رِبَابُ اِنْ يَعِدُ اِنْشَادَ الْأَيَّات الْآتِيَة فَنَزَلَ عِنْدَ رَغْبَتِهَا  
 وَاعْدَهَا مَرَّاتٌ وَمَرَّاتٌ :

إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَا يَرَالِ يَضْحِكُنَا أَنَّا بَقْرِبِكِمْ قَدْ عَادَ يَكِينِنَا  
 غَيْظَ الْعَدِيِّ مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فَدَعُوا بِأَنْ تَغْصَبَ فَقَالَ الدَّهْرُ آمِنِنَا  
 فَانْخَلَلَ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنفُسِنَا وَانْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا  
 وَقَدْ نَكَوْنَ وَمَا يَخْشِي تَفْرِقَنَا فَالْيَوْمُ نَحْنُ وَمَا يَرْجِي تَلَاقِنَا  
 لَمْ نَعْتَنِقْ بَعْدَكِ إِلَّا الْوَفَاءُ لَكَ رَأِيًّا وَلَمْ نَتَقْلِدْ غَيْرَهُ دِينًا  
 لَا تَحْسِبُو نَائِمَكُمْ عَنَا يَغْيِرُنَا وَاللَّهُ مَا طَلَبَتْ أَهْوَانًا بَدْلًا  
 وَاللهُ مَا طَلَبَتْ أَهْوَانًا بَدْلًا وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلْغَ تَحْيِيَنَا  
 مِنْ لَوْعَةِ الْبَعْدِ حَيَا كَانَ يَحْيِيَنَا يَا رَوْضَةَ طَلَّا أَجْنَتْ لَوْاحِظَنَا  
 وَرَدًا جَاهَ الصَّبَا غَصَّا وَنَسَرَنَا لَسْنًا نَسِيكَ اجْلَالًا وَتَكْرَمَة  
 قَدْرَكَ الْمُعْتَلِي عَنْ ذَلِكَ يَعْنِيَنَا يَا جَنَّةَ الْخَلَدِ ابْدَلَنَا بِسَلْسلَهَا  
 وَالْكَوْثَرُ الْعَذْبُ زَقْوَمًا وَغَسِيلَنَا دَوْمِي عَلَى الْعَهْدِ مَا دَمَنَا مَحَافِظَة  
 فَالْحَرُّ مِنْ دَانَ اِنْصَافًا كَمَا دِينَا

عليك مني سلام الله ما بقيت صباة منك نحنيها فتخفينا  
ولما انتهى صديقنا طريف من انشاد هذه الأيات قالت رباب  
والبشر يطفح من محيّها :

« حقاً يا طريف ان هذه القصائد التي اسمعتنا بعض اياتها من عيون  
الشعر العربي ومن غرائر آدابنا الحية » ثم قالت :  
« أن أبي ربيعة شاعر غزلي مطبوع عن شعره القصصي ممتع واسلو به  
طلي ولغته سهلة ميسورة لا تعقيد فيها ولا غموض . وانما لا نجد امثال  
شاعرنا عمر فاتح باب القصص الغرامي في الشعر العربي بين ادبائنا في  
العصر الحديث . وان قصيدة الحسن علي بن زريق البغدادي وقصيدة بن  
زيدون تفيضان رقه وعدو به وألما ووفاء وقد حوتا من جمال التصوير  
ودقة التعبير ما لا يوصف وما لا تلمسه في شعر من عاصمهما من الشعرا  
ولا في شعر شعرا هذه الايام . » !!!

## الباب الخامس

### أحاديث في الحضارة العربية

الفصل الأول

حقائق يجب أن تعرف



قالت رباب وهي تجاور صديقنا طريف وتبتسم :

« يتتجاهل المعرضون يا طريف الحضارة العربية وتاريخ الفكر العربي . ويزعمون ان الفلسفة العربية فلسفه يونانية كتبت باحرف عربية فهل لك ان تنفي هذا الزعم او تثبته ؟ وهل يستند زعم المكارين الى حقيقة ثابتة او الى شيء من الحقيقة ؟ أم هو تجاهل للتاريخ وتعامّ عن حقائقه ؟ » فابتسم صديقنا طريف وقال :

« لا يخلو هذا الزعم من التجاهل المعرض والماكرة والتعامي عن الحقائق التاريخية . ولا يستطيع المؤرخ الامين ان يتتجاهل الحضارة العربية وتاريخ الفكر العربي وأثرها في الحضارة الاوروبية وتاريخ الفكر الاوروبي . وما من احد يستطيع ان يتتجاهل أثر الامام محيي الدين الغزالى حجة الاسلام والفارابى وابن سينا والمؤرخ الاجتماعى ابن خلدون وابن طفيل

وابن رشد وسواهم من فلاسفة الاسلام في الفلسفة الاوروبية والفلسفة الاوروبين . ونحن لا ننكر يا رب اب ان فلاسفة الاسلام نقلوا الفلسفة اليونانية الى اللغة العربية ودرسوها وزادوا عليها . ويرجع الفضل الاول للعرب في معرفة اورو با الى الفلسفة اليونانية والترااث اليوناني ثم اخذوه عنهم الاوروبيون ولو لا العرب ما استطاعت اورو با ان تظفر من تاريخ الفكر اليوناني بشيء » ولأنقل بك يا رب اب الآن الى الحديث عن الحضارة العربية والدور الذي مثلته في التاريخ بعد ان مهدت هذا الدور بمقدمة موجزة .

« ومن ابرز مظاهر سياسة التفرقة العنصرية التي اتبهجا ويتوجهوا المستعمرون ، تجاهلهم الدور الذي مثلته الحضارة العربية في نهضة العالم الحديث .

ان التجاهل المغرض للحضارة العربية يا رب اب ولا رها في الحضارة الحديثة اما هو تشويه للحقائق التاريخية يقصد به تجاهل حقيقة راهنة . وهذه الحقيقة التي يتتجاهلها المغرضون هي مساهمة الامة العربية الفعالة في فترات تاريخية معينة بين العصور القديمة وعصر النهضة الحديثة في التقدم الانساني في جميع ميادين الفكر والفنون .

ويبدو لي يا رب اب أن الطالب الاوروبي حين تساوره الرغبة في درس الفتوحات العربية يشعر وهو يقرأ ما وضع بين يديه من كتب صغيرة مختصرة ، بأنه امام سر عجيب او معجزة خارقة ، ولا يجد من يفسر له اسباب او نتائج تلك العاصفة البشرية التي امتدت في خلال سنوات معدودة

من بحر الصين الى المحيط الاطلنطي .

على انا يا رباب اذا القينا من وراء ظهورنا بالتجربة الاستعماري والعربي  
بدت لنا هذه الحقيقة الساطعة وهي :

ان الاسلام ، حتى قبل ازدهار ثقافته الخاصة ، قد اوجد ، بفتحاته  
الواسعة نفسها ، الظروف الضرورية لتجدد الحضارة ، ولتجدد فرحة  
العالم . وعلاوة على هذا يا رباب تحظى الفتح العربي حكم الاقطاع بامداد  
هذا الفتح الظروف الاقتصادية والاجتماعية المؤاتية المهمة التي قام بها بازلة  
القوضى الاقطاعية وطبقاتها الطفiliية . وفي سنة ١٨٦١ يا رباب قبل ان  
تمخض مطامع الاستعمار وتنطلق نزعاته لافتراض الشعوب الضعيفة ، وحينما  
كان المؤرخون الاسпанيون لا يترددون في تمجيد تراث الاسلام ، كتب  
المستشرق الكبير دوزي في الصفحة ٤٣ من الجزء الثاني من كتابه « تاريخ  
المسلمين في اسبانيا » .

« لقد كان الفتح العربي نعمة بالنسبة لاسپانيا ، لانه ادى الى ثورة  
اجتماعية مهمة ، وازال قسماً كبيراً من المساوى ، التي كانت اسپانيا تشن تحت  
عيشهما منذ عصور طوال »  
ثم اوضح ذلك بقوله :

« كان العرب يحكمون بحسب المنهاج التالي : لقد خفوا عبء  
الضرائب بالنسبة الى الحكام السابقين ، وانزعوا من ايدي الاغنياء  
الارض التي كان يتقاسمها الاقطاعيون وزرعواها الفلاحون او العبيد الناقلون  
ووزعواها بالتساوي على من كانوا يستغلون فيها ، فعكف الملائكة

الجدد على استئثار الأرض بخواصه شديدة ، واستخرجوا منها محسولاً وافراً اوفر من قبل . أما التجارة فقد تحررت من قيود الحدود والمكوس الفادحة التي كانت ترهقها ، وتطورت تطوراً ملحوظاً . وكان القرآن يسمح للعبيد بالتحرر لقاء تعويض منصف ، فبرزت من جراء ذلك قوى اجتماعية جديدة . وقد افضت هذه التدابير كلها ، إلى حالة من الرخاء العام كانت الخافر

الاول للترحاب الذي استقبل به الحكم العربي في عهده الاول . » يضاف إلى هذا يا رباب ان الفاتحين العرب بازالة الحواجز التي اقامها الاقطاع في حقل الاقتصاد ، وباجادهم جوأ جرى فيه تبادل البضائع والافكار على نطاق اوسع من الجو الذي اوجده الامبراطورية الرومانية القديمة ، وباشائهم امبراطورية موحدة مركزة خاضعة لقانون مكتوب ولا دارة حقوقية منظمة ، قد وضع العرب يا رباب الاسس الصالحة لتطور الأشياء والناس والافكار تطوراً تمتاز به المراحل المبدعة التي اجتازتها البشرية ، فاذا بالحضارة القديمة التي جمدت في بيزنطية تعاود تحاليفها في آفاق الامبراطورية العالمية الجديدة .

ولقد ظهرت فضائل الفتح ايضاً يا رباب ، في الجانب الآخر من البحر الابيض المتوسط . وارى يا رباب ان استشهاد بنصوص اوروبية ثبت تقويم الفتح العربي في هذا الشطر من العالم ايضاً . فان اميراً من امراء الكنيسة هو المونسيور دوشين يسرد في معرض دراساته عن حياة وحالة الكنيسة في سوريا في غضون القرن السابع ، مقطعاً يستوقف الانتباه لميشال السوري قال فيه عن الفتح العربي ، بعد ان ذكر الاضطهاد

الذى كابده أولئك اليعاقبة الذين لم يقبلوا اتحاد هرقليوس :

« ... ان الله الانتقام ... وقد رأى شرور الرومان ، الذين كانوا ينهبون كنائسنا وأديرنا ويقضون علينا في كل مكان انبساط سلطانهم عليه أرسل من الجنوب ابناء اسماعيل كي ينقذنا بواسطتهم ... ولم يكن بالفضل اليهير ، انقاذنا من قسوة الرومانيين ، ومن شرهم وغضبهم ومن حدم الفظ ، والأخذ بيدنا الى ظلال الأمن والراحة التي نشدها » ان أمثال هذه النصوص يا رب الصادرة عن الاوروبيين أنفسهم تحملنا على الاعتقاد بأن آناتول فرانس لم يكن يصدر عن نزوة عابرة ، اذ قال بطرفه البارع في « الحياة الزاهرة » :

« سأل السيد دو بوامرة السيدة توزير ، ما هو أكثر أيام التاريخ شؤماً . فلم تستطع السيدة توزير الاجابة على هذا السؤال . وحينئذ قال السيد دو بووا : ان أكثر أيام التاريخ شؤماً هو اليوم الذي جرت فيه معركة بوآتية في سنة ٧٣٢ ، حين تراجع العلم والفن العربيين والحضارة العربية ، امام البربرية الفرنكية »

بيد انه من الحق يا رب ان نصحح هفوتين وردتا في هذا المقطع القصير :

١ - ان الحضارة العربية التي ازدهرت على ايام العباسين في بغداد لم تكن قد وجدت بعد في سنة ٧٣٢ ، اي في سنة ١١٤ من الهجرة ، في عبد هشام بن عبد الملك الخليفة الاموي بدمشق .

٢ - ليس في وسعنا القول بأنه كان ثمة « تراجع » اسلامي في بوآتية .

فانه كانت هناك مناوشة قام بها العرب اثناء عودتهم من غزوة قاموا بها على سان مارتن دوتور .

ان غزوة عبد الرحمن الغافقي التي زحفت من الشمال الى الجنوب ، اصطدمت بشارل مارتل وهي في طريق العودة الى اسپانيا ، وقد اتاح الحفظ لهذا الرجل مساعدة اود دوغوسكونيا الذي لو لا نجده لما اتيح لشارل ان يصبح مارتل ابداً ! ولكن يبقى صحيح في الكلمة انما تول فرنس ، ان فرنسا قد اضاعت في ذلك اليوم فرصة تاريخية لا شتراث في الحضارة العربية التي ازدهرت بعد ذلك بزمن وجيزة ، اي انها فقدت فرصة تاريخية لا اختصار عهد الفوضى الاقطاعية ، وتكوين وحدتها القومية ، فضاعت بذلك عدة عصور على فرنسا ، وضعع بعض الوقت على البشرية .

ونحن لا نفترض بقولنا هذا افتراضًا رخيصاً ، فان كتاباً من اعظم كتاب اسپانيا هو بلاسكوا بيانير ، يشهد باسم وطنه في الصفحات ٢٠١ -

٢٠٤ من كتابه « في ظل الكاتدرائية » اذ يقول :

« ان الاسباب التي اعادت الى اسپانيا حيويتها وجددت شبابها ، لم تصلها عن طريق الشمال مع القبائل البربرية ، وإنما جاءت من الجنوب مع العرب الفاتحين ... لقد كان الفتح العربي بعثة ممدنة اكثراً ما كان فتحاً .. عن تلك الطريق وليس عن غيرها، دخلت الى بلادنا هذه الثقافة الفتية ، القوية ، النشيطة ، اليقظة ، التي تبعث على الدهشة لقدمها السريع ، والتي ما كادت تلد حتى انتصرت ». ان هذه الحضارة التي اوجدها حماسة النبي

الدينية ، قد تتمثل احسن ما في اليهودية والعلم البيزنطي ، وحملت معها فوق ذلك ، التقاليد الهندية وتراث الفرس وكثيراً مما قبسته عن الصين الحافلة بالأسرار . فكان الشرق كله هو الذي دخل بواسطتها اوربا ، الا ان شأنه لم يكن شأن جنود داريوس<sup>(١)</sup> وسركيس<sup>(٢)</sup> التي دخلت اوروبا عن طريق اليونان لما صدتها هذه انقاذًا لحريتها ، اذا اقبل هذه المرة من الطرف الآخر من اوروبا ، « لا عن طريق اسبانيا التي كانت تعاني استعباد الملك الالاهوتين والاساقفة المحبين للقتال ، ففتحت ذراعيها لاستقبال العرب الفاتحين . وقد استولى هؤلاء العرب في غضون ستين على مناطق اقتضت سبع عصور لاستعادتهم . لانهم لم يكونوا يقumen في الواقع بعروة تفرض ذاتها بقوة السلاح ، بل كانوا يؤلغون مجتمعاً جديداً يدفع اصوله القوية الى شتي الانحاء : وكانت مبدأ حرية الضمير ، وهو حجر الزاوية الذي تقوم عليه عظمة الامم الحقيقة ، مبدأ مقدساً لديهم ، فكانت تقوم في المدن التي تولوا سيادتها . كنيسة المسيحى وكنيس اليهودى على السواء .

« ولقد نشأت في اسبانيا وتطورت ، منذ القرن الثامن الى القرن الخامس عشر ، اجمل واغنى حضارة وجدت في اوروبا باطول القرون الوسطى . فيما كانت شعوب الشمال تتذابح في غمرة الحروب الدينية ، وتسلك سلوك القبائل الهمجية ، كان عدد سكان اسبانيا يرتفع الى ثلاثةين

١) داريوس : احد ملوك فارس وقد حكم من سنة ٥٢١ الى سنة ٤٨٦ ق.م.

٢) سركيس : ابن داريوس وقد حكم على فارس من سنة ٤٩٥ الى ٤٩٠ ق.م.

مليون نسمة ، وكانت تمازج وتفاعل في هذا الخضم من الناس ، جميع العروق والمعتقدات ، بت نوع لا حد له ، تصدر عنه أقوى النبضات الاجتماعية . . . وفي قلب هذا المزيج الخصب من الشعوب والعروق المختلفة ، كانت تزدهر جنباً إلى جنب ، جميع الأفكار والتقاليد وجميع المكتشفات التي حققها الإنسان حتى ذلك العهد ، وجميع الفنون ، والعلوم والصناعات والمخترعات والأنظمة ، ومن تصادم هذه العناصر المختلفة كانت تتبع اكتشافات جديدة وقوى مبدعة جديدة .

« وقد حمل أولئك الغرباء معهم من بلاد الشرق ، الحرير والقطن والقهوة والليمون والرمان ، وحملوا السجاد ، وصنوف الأنسجة والمعادن والبارود ، كما حملوا أيضاً التعداد العشري والجبر وفن تحويل المعادن والكيمياء والطب وعلم الفلك والشعر المنظوم . وكان فلاسفة الاغريق يوشكون أن يتلاشوا في ظلمة النسيان ، فأنقذهم العرب وساروا مع الفتح العربي إلى كل مكان ، واستعادوا يسيطوا مكانته الوفيرة في جامعة قرطبة الشهيرة . . . »

وهذا دهشت رباب من حديث صديقنا طريف وأخذت بطلاؤه هذا الحديث على حد قوله وراحت تصفع طر ياً وفرحاً والغبطة تملأ صدرها والبشر يطفع من محياها وقالت :

« حدثنا يا طريف عن تراث الحضارة القديمة وأثره في الحضارة الأوروبية الحديثة؟ وعن من اخذ الأوروبيون تلك الحضارة ومن حملها إليهم؟ » فاستجاب صديقنا طريف إلى رغبة محدثته رباب الملة وراح

يحدثها ويوجز في الحديث فقال :

« لا يشك المؤرخ الأمين الذي يتجرد عن كل غاية اذا ما أراد البحث في هذا الموضوع او في سواه من الموضوعات يا رباب ان الفتح العربي أوجد الظروف الفكرية المؤتمنة للبعث الأوروبي ، بتوفيره امكان احياء الثقافة القديمة ولا سيما الثقافة اليونانية .

واما ما تدارستنا التاريخ يا رباب وضح لنا ان العصر الاول من عصور الاسلام ، ونعني به عصر الخلفاء الراشدين والامويين ، الذين حكموا في المدينة وفي دمشق ، كان عصر الفتوح .

وهنا ننتقل يا رباب الى المرحلة الثانية من تاريخ الاسلام تلك المرحلة التي بدأت بعد ان تطودت دعائم الملك ، وتوفرت اسبابه ، وهي مرحلة الخلافة العباسية ببغداد . التي قامت على انقاض الدولة الاموية . وقد بدأت هذه المرحلة يا رباب بحقيقة من التمثل ، امتدت من سنة ٧٥٠ الى ٩٠٠ للميلاد ، ويصح ان نسمى هذه الحقبة بحقيقة الترجمة لكثرتها ما قيل فيها من الكتب القديمة ولا سيما اليونانية منها الى اللغة العربية عن اليونانية مباشرة او عن السريانية فلم ينفع القرن التاسع حتى كانت كتب ارسسطو وغاليان وافلاطون وبطليموس واقليميدس وارخيديس قد ترجمت الى العربية . وفي خلال سنة ٨١٣ - ٨٣٣ للميلاد يا رباب كانت اوروبا تجهل الكتابة والقراءة وتنجح في خضم شام الاطراف من الحماقة والوحشية والجهالة والأمية . بينما كان الخليفة المأمون يؤسس في بغداد « بيت الحكم » . وكان هذا البيت يتكون من خزانة كتب ودار علم ومكتب

للترجمة ، وقد اصبح التراث اليوناني بواسطة بيت الحكمة يا رباب في متناول  
الذين يتلون القرآن وينطقون بالضاد . وبعد ردخ من الزمن يسير كاتب  
الخلفية الحكم الثاني في قرطبه يملك سماعة الف مجلد ، بينما لم يستطع ملك  
فرنسا شارل لو ساج ان يجمع ، بعد ذلك باربعمائة سنة اكثر من تسعائة  
مجلد .

وقد بلغت مرحلة التمثل هذه يا رباب اوجها في نتاج الـِـكندي الذي  
ولد حوالي سنة ٨٥٠ م ، فقد تبنى هذا الفيلسوف نظرة ارسطو الى العالم  
ووضع اكبر «موسوعة» عرفتها الدنيا قبل الموجز اللاهوتي الذي الفه القديس  
توما لا كويبي بعد ذلك بثلاثة قرون . وقد يقى نتاج الـِـكندي اول فيلسوف  
عرفته العرب من ناحية البحث الفلسفى منارة للثقافة الغربية مدة غير سيرة  
من الزمن . وقد ترجم نتاج الفيلسوف العربي اي «الـِـكندي » جيرار  
دو كريمون الى اللاتينية .

وهكذا نرى يا رباب ان الثقافة العربية قد تميزت بأول مظهر من  
مظاهر البعث الاوروبى . وكانت الدعامة الاولى التي قام عليها البعث  
الاوروبي . واما المظهر الذي تميزت به الثقافة العربية في البعث الاوروبي  
 فهو مظهر الاحاطة بأصول الثقافة القديمة والعمل على احيائها ، وكانت اشبه  
برباط وثيق يصل بين الثقافة القديمة والحضارة الحديثة .

وخللاصة القول يا رباب ان الفتح العربي قد جدد حيوية الغرب ،  
وبعد حضارته باحياء العلوم اليونانية التي كانت اوروبا تجهلها ولو لا نعمة  
الفتح العربي والحضارة العربية لما تسى لاوروبا ان تتعرف الى التراث

القديم ولا ان تغدر بشيء منه وما كانت لها هذه الحضارة او على الاقل  
لتأخرت حضارتها مدة من الزمن قد تكون هذه المدة قصيرة الامد وقد  
تكون طويلة الامد .

ومع ذلك يارب اباب يتتجاهل المغرضون فضل الحضارة العربية على  
الحضارة الاوروبية على الرغم من هذه الحقائق الثابتة ومن هذه الادلة  
الساطعة التي سقتها اليك في هذا الحديث القصير ولا ازعم ان حديثي هذا  
تناول كل الادلة والبراهين والحقائق في فضل الحضارة العربية على الحضارة  
الاوروبية . ويصدق قول الشاعر يارب اباب على الذين يتتجاهلون الحضارة  
العربية وأثرها في الحضارة الغربية وحتى في الحضارة الانسانية اقول يصدق  
على هؤلاء الذين تأبى عليها نزعاتهم الخلية والعرقية وتعنتهم الاقليمي الا  
ان يتتجاهلوا حاجة في نفس يعقوب الدور الذي مثلته الحضارة العربية في  
التاريخ قول الشاعر :

أعلمك الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني  
وقد عامته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني  
ولما فرغ صديقنا طريف من حديثه طلبت اليه رباب المزيد من هذا  
الحديث وقالت :

« هنا لك يا طريف نظرية جديدة مغرضة تزعم ان الحضارة الاسلامية  
لا اهمية لها الا باعتبارها حضارة ناقلة اقتصرت مهمتها على تمثيل الماضي  
وايصاله الى الاجيال الآتية » وهنا اعتدل صديقنا طريف في مكانه وراح  
يحدث جليسه رباب ويفند لها هذه النظرية المغرضة فقال :

« يجدر بي يا رباب قبل ان أرد على هذا الزعم وأفنده هذه النظرية ان أشير باختصار الى ان الرومانين افسهم لم يقوموا بشيء غير هذا ولم يفعلوا شيئاً سوى هذا . فان الحضارة اللاتينية ليست الا انتحala او تقليداً ، او محاكاة في احسن الحالات للحضارة اليونانية . وعلى الرغم من هذا ، فقد اتاح المجال في اول مراحله بين الاداب الكلاسيكية ، اللغة اللاتينية وللادب اللاتيني الذي لم يكن الا ادب اقتداء وتقليد .

وعلى العكس من هذا يا رباب . فان التعليم الرسمي لم يعط الحضارة العربية الا مكاناً هزيلأ جداً . مع انه لم تقتصر على احياء الحضارات البائدة التي سبق لها ان ازهرت في العراق وفارس ومصر واليونان وروما ، بل قامت خصوصاً بتطوير تراث القدماء واجتازتهم في عصرها الذهبي الذي امتد من سنة ٩٠٠ الى سنة ١١٠٠ م .

ان الاكتشافات العلمية والتكنيكية المدهشة التي تمت في عهد اليونان يا رباب . بين القرن الثالث والقرن الثاني قبل الميلاد لم تستطع ان تغير اتجاه العالم لاسباب اقتصادية واجتماعية ، اذ ان اتساع نطاق الرق قد حال دون تقدم التكنيك العلمي وقلب الحياة الاقتصادية ، لأن استغلال قطعان العبيد الذين يباعون بامان بخسارة جداً كان اكثراً فائدة وربحآ من استخدام الآلات . وهكذا اجهضت الثقافة اليونانية ، ولم تستطع بعد ذلك انجذاب حضارة جديدة .

وهنا انقل بك يا رباب الى التفكير العربي التجربى العملي فاقول : « ان الامة العربية هذه هي الجرأة الفاتحة التي استطاعت امبراطورية

تجارية . وازالت النظم الاقطاعي الزراعي . قد وثبت بالعلوم وثبة جبارة تلازم مع الاهداف العملية المشرمة التي عينت لها . فوجدت الاكتشافات العملية والتكنيكية التي تحففت في العهد اليوناني ، وكذلك عترت على الظروف الملائمة لتجسدتها وتضخمها في هذه الحضارة الجديدة التجارية .

لقد كانت الجغرافية ولا سيما الجغرافية الفلكية يارباب ، ضرورة حيوية لدى أولئك الرجال الذين دأبوا على اجتياز الصحاري وجوب البحار . غير عابثين بما يعترضهم من مصاعب ومشقات . وافت مراصد سمرقند وبغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة ، وهي المراصد الاولى في العالم كانت من صنع ايديهم . وكان أولئك العرب يارباب اول من قاس درجة دائرة نصف النهار . وكذلك استطاعوا ان يحسيروا بدقة اخ هنا ، سمت الشمس . ومبادرة نقطة التساوي بين الليل والنهار والفرق بين السنة الشمية والسنة النجمية .

وها هو التاريخ يخبرنا يارباب ان الغزاري قد اعاد بناء الاسطرباب سنة ٧٧٠ م الذي اخترعه بطليموس ثم أدخلت عليه تحسينات عديدة في القرون التالية . ولما ترجم الخوارزمي بطليموس حوالي عام ٨٣٤ م ، وضع مفهوماً متساكاً للطواف والابعاد .

وكانت علماء الجغرافية وعلماء الفلك العرب يارباب ، اثناء وضعهم العملي لادلة الطرق وبيان مراحلها لتسهيل ادارة الامبراطورية يحافظون على حيوية الفكرة القائلة بكروية الارض ، هذه الفكرة التي كان يذكرها رجال اللاهوت النصارى .

وقد ادى هذا التقدم النظري المرتبط كايرجع بالتفوق التكنيكى ، والذى لا يشير اليه اية اشارة لا لوفيفرديسنويت ولا لارونسيير في سفريهما عن تاريخ الملاحة ، الى تأمين السيادة البحرية المطلقة لل المسلمين في جميع أنحاء البحر الايضاً المتوسط ، ويقول ابن خلدون ان المسيحيين لم يبق في استطاعتهم أبداً ان ينزلوا الى هذا البحر حتى ولا لوحة خشبية واحدة .  
وفي غضون منتصف القرن العاشر ، تمكن المسلمين الذين تأسست احواضهم الاولى لبناء السفن في تونس في اواخر القرن السابع عشر ، ان يبلغوا شواطئ الصين وَاكبر الظن انهم وصلوا كوريا واليابان ايضاً . وبعد خمسة سنين يا رباب اي عندما بلغ فاسكودو غالباً مالا يند على شاطئ افريقيا الشرقي عام ١٤٩٨ ، كان الملاح الذي ارشده الى طريق الهند ملاحاً عربياً . وكذلك كان الملاح المسلم احمد بن ماجد اول من وضع كتاباً عن الملاحة في المحيط الهندي والبحر الاحمر والخليج الفارسي وبحر الصين ، وقد اخذ البرتغاليون هذا الكتاب اساساً لدراساتهم البحرية في عهد هنري الملاح .

وان اول من فكر في شق ترعة السويس كان خليفة مسلماً ( هو السلطان قانصوه الغوري وقد فكر في شق ترعة السويس سنة ١٥٠٤ ) وهو لم يعدل عن تنفيذ فكرته هذه الا لأسباب ستراتيجية محضة .  
وارى لزاماً علي يا رباب ان انتقل بذلك من هذا الحديث ، حديث الفكر التجربى العملي عند العرب الى حديث آخر هو حديث المرحلة التي انتقل فيها العرب من التكتيك الى العلم . ولقد بلغ من تقدم علم الفلك

عند اسلافنا العرب القدماء ان الراهب جيربر الذي رفع الى كرسي الباباوية في سنة ٩٩٩ م باسم سلفستير الثاني ، ونظر اليه كمن تاجر مع الشيطان ، على اثر عودته الى المسيحية بعد ان قضى مدة في الجامعة الاسلامية بقرطبة .

وان ضرورات التجارة والمحاسبة يارب ، اضطرت العرب كااضطربت الفينيقيون من قبلهم الى قلب علم الحساب رأساً على عقب . فان اكتشاف الارقام العربية ، واختراع الصفر الذي يرتكز عليه نظام التعداد العشري كله ، قد حققا الثورة الثانية في العلوم الرياضية ، منذ عهد الفينيقيين الذين قاموا بالثورة الاولى . ولم تعرف اوروبا هذه الاكتشافات الا بواسطة العرب ، وقد عرفتها بعدهم بمائتين وخمسين سنة ، في القرن الثاني عشر للميلاد .

ووفق الخوارزمي في علم الجبر حوالي ٨٣٥ - ٨٤٤ الى اعادة وضع المنهج الذي كان يعرفه علماء اليونان لحل معادلات من الدرجة الثانية وتمكن الشاعر الرياضي عمر الخيام الذي توفي سنة ١١٢٣ م ، حل معادلات من الدرجة الثالثة بواسطة المنهج الذي استخدمه ديكارت بعده بخمسة قرون ، فوضع بذلك أساس علم الهندسة التحليلية .

وكذلك لمع من علماء العرب يارب في علم الهندسة ثابت بن فره الذي فاق اقليدس . واذا ما ذكرنا حساب مساحة المثلثات ذكرنا أبا الوفا الذي اكتشف الخلط القاطع وليس كوبنيك كما يزعم بعضهم ، وأما الفارابي فقد اكتشف علم أنساب العدد « اللوغاريتمات » بعد

دراسته الفوائل الموسيقية . كما درس ابن سينا المقادير او الكميات  
غير المتناهية .

واما في علم الكيمياء يا رباب فقد حمل العرب الى الغرب نصيحاً  
منه كما يستشم من هذه الكلمات :

«Alambic» القلي او ملح القلي ، «Alcool» الكحول ، «Alcali»  
الابيق ، «Elixir» الاكثير (آلة تقطير وتكرير) وغيرها :

أ ) - مناهج : التقطير ، والتصعيد ، والتجمد .

ب ) - منتجات جديدة : القلي او معدن البوتاسيوم ، والنشادر  
(الامونيك) ، والذيريك او حمض الازوتيك ، والماء المكلي ، والسليفاني  
او المصعد الاكلال ، والورق الذي صنعه العرب من القطن منذ عهد هرون  
الرشيد المتوفى ٨٠٩ م . اما في الطب يا رباب فلم نذكر الا اسماً واحداً هو

اسم الرازى «Rhazes» الذي عاش بين سنة ٨٦٥ وسنة ٩٢٥ م وكان من  
اسخناء الاطباء في جميع العصور . فقد وحد نافعة العرب في علم الطب اي  
الرازي بين الفكر الملاحظ والفكر التجريبي ، فوضع تصنيفاً منهجياً  
وقياسياً للامراض . وقد اعيد في انكلترة طبع الموسوعة الطبية التي أنشأها  
وترجمها فراغوت الى اللاتينية باسم شارل الاول ، اربعين مرة منذ سنة  
١٤٩٨ الى سنة ١٨٦٦ وفي عصر البعث الغربي اعيد طبعها في فيينا  
سنة ١٥٢٠ وفي فرنكفورت سنة ١٥٨٨ ، اي انها ظلت طوال الف سنة ،  
حتى ظهر كلود برنارد ، توجه الابحاث الطبية لدى جميع الشعوب .  
ويعود الفضل الاول يا رباب الى الاطباء العرب الذين قدموا من

اسمايا في الشهرة التي أحرزتها كلية مونتيليه لأول عهدها . ويكتفينا ان نورد شهادة سان برقار الذي شهد ببراعة اطباء مونتيليه الذين تتلمذوا على يد الاطباء العرب منذ سنة ١١٥٣ م . وان هذه الكلية التي خللت حرية الفكر زمناً طويلاً من مزاياها الأساسية ، لنغقر بان من طلابها اديبنا رابي ويدولي يار باب ان رسوخ الفتح العربي وطريقتهم التجريبية المتينة هما اللذان ميزا الفلسفة الاسلامية بأسمى ميزات الاعجاب وخصائصه . وهكذا نرى يار باب ان العرب الرحّل الذين بهروا العالم بفتحاتهم الموقعة اسروا امبراطورية تجارية وازالوا النظام الاقطاعي الزراعي في كل مكان دخلوه وألغوا الرقّة ووثبوا بالفلسفه وتاريخ الفكر وثبة جباره نظر الالاهداف العلمية التي وضعوها نصب اعينهم وكانت ذات فائدة ملموسة . وكانت قد توفرت لدى العرب يار باب الاكتشافات العلمية والتكنيكية التي تحققت في العهد اليونياني ، فاستخدموها في هذه الحضارة التجارية الجديدة وكانت الظروف المؤاتية لبعثها من جديد وازدهارها مرة اخرى متوفّرة عند العرب ...

وهنا تسأّلت رباب قائلة :

« هل كان للعرب يا طريف فلسفة عقلية ؟ وهل تميزوا بالفكر الناقد ؟ . وراح صديقنا طريف يحدث رباب ويحلّ لها هذه المسألة موجزاً القول فيها لضيق الوقت وطول الحديث فقال :

« لا ريب يا رباب ان العرب القدماء كانوا اهل فلسفة عقلية واصحاب فكر ناقد . وان الروح التي تميز هذا العلم وهذه الفلسفة يار باب

المرتبطين ارتباطاً وثيقاً بمشاكل الحياة اليومية في عهد كانت المسيحية « اي اوروبا المسيحية - الغرب » راقدة في ثبات عميق وتأثيرة في شعاب التقشف الصوفي وفاسقة القرون الوسطى ، ان لم نقل في غياب الفللات وفي خضم من المخافة والجحيل المطريق ، ان هذه الروح يا رباب لتذكرا بالتفكيرين اليونان القريبيين باتجاهاتهم المادية والعقلية من الاتجاهات الماركسية . وانه من الانصاف يا رباب ان تقر هذه الحقيقة رغم تجاهل المفترضين وهي ان ابن سينا الطيب والفيلسوف (٩٥٠ - ١٠٣٧ م) وابن رشد « Averroes (١١٢٦ - ١١٩٨ م) فيلسوف قرطبة العظيم والفقير المجدد والعالم الطبيعي الشهير ، قد اعلننا قبل ديكارت بخمسة قرون ، حق اخضاع كل شيء ، ما عدا العقائد الدينية الصادرة عن الاعيان ، الى حكم العقل . ولم يكونوا كما شاع طوال قرون وكما يقول « التوردي سيدر دو برابان » عنهما (رسولي الاخاد ) بل كانوا زائدي الفكر الناقد والمذهب العقلي الحديث .

وقد ادرك يا رباب ذلك كل الادراك ، الشاعر دانتي الذي اقطع تفكيره بطريق اسلامي ، والذي اثنى على ابن رشد ثناء عظيما في النشيد الرابع من كتاب الجحيم في الكوميديا الالمية . كما ادرك ذلك روجر باكون اكبر مفكري الغرب في القرن الثالث عشر واكترهم تحررا فقال : « ان الفلسفة مستمددة من العربية ، وليس من لاتيني واحد يستطيع ان يفهم حكمة الكتاب المقدس والفلسفة كما ينبغي لها ، ان لم يكن يجيد اللغات التي ترجمها عنها . »

ولما تبددت سحب ظلام القرون الوسطى يا رباب ، لم يقف الشرق

العربي عند كونه معلم اوروبا والآخذ يدها الى سبل النور والعلم بانجاته  
الماذج العديدة من اولئك الرجال امثال البيروني (٩٧٣ - ١٠٦٨ م)  
الطيب والفلكي والرياضي والجغرافي والعالم الطبيعي ، وغيره من الرجال  
الذين احاطوا بجميع المعارف البشرية ولا يظروون الا عندما تبلغ  
الحضارات ذروتها القصوى ، ولقد انجب الغرب في نهضته الحديثة يا رباب  
نماذج من امثال اولئك الرجال . وكانت الاكاديميات الاسلامية بمكتباتها  
وكلياتها الاربع ، ومناهجها الدراسية ، وانظمتها السلكية ، ودرجاتها  
الجامعية ، وطلابها الأجانب ، التي اعطت اوروبا نماذج عن انظمة التعليم ،  
قد انتشرت في اول الامر في اوروپة المسماة كالدين بصفلية وقرطبة باسبانيا  
ثم اوروپة المسيحية التي تبعها وقادت تلك الماذج ، بجامعتها الكبيرة  
في بولونية وباريس ومونتبليه واوكسفورد في القرن الثالث عشر ،  
وهكذا نرى يا رباب ان الديانة الاسلامية واللغة العربية قد نشأتا  
ووحدهما في شبه الجزيرة العربية بينما نرى أن الفنون والعلوم والفلسفة ولدت  
في احضان الامبراطورية العربية لما انتقل العرب من خيامهم المنسوجة من  
شعر الماعز ووبر الجمال الى القصور المبنية من الرخام ، ومن الغزوات الدامية  
في عرض الصحراء الى السيادة الامبراطورية التي صارت للخلفاء .  
وحينئذ يا رباب استيقظ العالم من غفلته ونهض من كبوته وتحول ركوده  
الي حيوية ونشاط . فانبعثت الافكار القديمة والانظمة البدائية واستعادت  
شبابها . وعادت الى الاقطار الحيوية والنشاط والنمو كما كان شأن العراق  
ومصر وفارس ويونان كما عادت البشرية الى مواصلة سيرها ومتابعة رقيها .

ولم يكن يا رباب في وسع هذه الحضارة وفلسفتها الابحاء بالهرب من معرك الحياة او الانفصال عنها ولم يبشر بمثل هذه الحضارة العليا في نشأتها الاولى عبيد أرقاء بل بشر بها فاتحون طامحون . فاذن يا رباب يمكننا ان نقول ان هذه الحضارة وفلسفتها ليست في باديء امرها ميتافيزيقيا تمحض بها عالم كان يجد نفسه في مأزق لا مخرج منه شأن اوروبا المسيحية . لأن طريق المستقبل والسيادة كانت تنشق وتنبع في سرعة غيرية امام الفتح العربي الاسلامي وارى ان انتقل بك الآت يا رباب الى الحديث عن النظام الاقتصادي والاجتماعي عند العرب فاقول :

« يبدولي ان الشرائع التي جاء بها وحملها الاسلام الى البلدان التي افتحها العرب ، هي من مميزات الحضارة التجارية . على عكس النظام القطاعي . والادلة على ذلك يا رباب انظمة الفرائض والأنظمة الملكية والأنظمة المدنية .

ولنعد الآن لنقف عند انظمة الفرائض وقفه يسيرة لنرى ان الفرائض كانت خلال القرون الوسطى في الغرب المسيحي ، تفرض على الارض وحدها . ولكن بظهور الاسلام ظهر نظام جديد للفرائض وهو نظام الفرائض التي تفرض على الملكية الشخصية . وعليك قول الماوردي في هذا الموضوع : « ليس على الارزاق من ضريبة غير الزكاة . » عليك ايضاً تعريف الزكاة كما ورد في القرآن الكريم :

« خذ من اموالهم صدقة تطهيرهم وتزكيتهم بها » سورة التوبه آية ١٠٣  
والغرض المقصود من هذه الضريبة واضح كل الوضوح ، فان الاموال التي

تجمع من الزكاة يجب اعطاؤها ، كما جاء في القرآن :

« للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليهما ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ،  
والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل » سورة التوبة آية ٦٠ .

وزرى ان الغرب يا رباب محاكاة منه للعرب بما بعد الحروب الصليبية  
الي وضع المكوس على الاشخاص والأدخال فجرت فرنسا على ذلك  
في سنة ١١٤٦ وسنة ١١٦٥ م وبعثتها انكلترا في سنة ١١٦٦ م .

وما دمنا قد القينا على نظام الفرائض نظرة عابرہ فلقد نقل يا رباب الى  
الحديث عن نظام الملكية ولو عدنا وادفتنا النظر في مجموعة الاحاديث النبوية  
التي ضبطت روایتها وصح استنادها لرسم لنا قاعدة ذهبية ونخرجنا منها  
بما يلي :

لا يحق لأحد أن يملك أرضاً إلا إذا استغلها بعمله وزرعها بنفسه .

(راجع « النظم الاسلامية » حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن ص  
٢٧٠ - ٢٧٤ - العرب .)

ورد في القرآن الكريم الآية الثالثة :

« وان ليس للانسان الا ما سمعى »

ويروي ابو يوسف بن يعقوب صاحب « كتاب الخراج » هذا  
ال الحديث الشريف :

« من احيا ارضاً مواناً فهبي له » .

ويعرف يا رباب شارل جيد في كتابه « دروس الاقتصاد السياسي »

الجزء الثاني صفحه ٢٣٦ بقوله :

« ان المشرع الاسلامي لا يقر ملكية المرء الفردية الا على الاراضي التي كانت ميداناً لعمل فعال من قبله » .

وقد احترم الاسلام هذه الفكرة التي تقرر ان العمل وحده هو الذي ينشئ الملكية ، حتى ان الفتح الذي ترافقه مصادرة الملكية لم يقبل في العرف الاسلامي الا في احوال قليلة كضرب من الاخذ بالثار ، وذلك تقدم كبير . بالنسبة للمجتمع القديم ولا يقل عن ذلك دلالة على التقدم ، الغاء المبدأ الروماني الذي يقر « حق التصرف واساءة التصرف » . ففي الشرع الاسلامي ، كما يزددي البخاري غير مرأة . كل تخريب للارزاق لا طائل منه هو خطيئة .

و واضح ان هذا المفهوم للملكية انا يصدر عن احترام للعمل . فيما كانت اوروبا المسيحية تضع في الدرجة الاولى التأمل او السلاح ، وتنص الاقنان وحدهم بالعمل ، كان الشرع الاسلامي يonus على كل نشاط عملي ويولي العمل والزراعة والتجارة احتراماً كبيراً ، ويطلب من كل انسان ان يعيش من عمل يديه ويزدري اولئك الذين يعيشون من عمل الآخرين . ولا يغرب عنibal يارب اب ان نظام الطوائف الحرفية ، الذي لم تعرفه اوروبا الا بعد عدة عصور ، قد ظهر خلال القرن التاسع في فرق القرامطة . وان نظام البلديات الذي لم يظهر في اوروبا الا بعد الحروب الصليبية ، قد وجد منذ امد بعيد في العالم الاسلامي ، مع مؤسساته الخاصة . وكانت الختب هو الذي يدير النشاط الاقتصادي ويؤمن النظام .

وقد عاد النظام السياسي الذي كان سائداً في مدن اليونان التجارية  
القديمة فظهر في الغرب ثانية بفضل العرب وامن بواسطه بزنطه اتصال  
الحضارات بعضها بعض .

وكان الاثر الذي تركه العرب في اسبانيا يارباب اعمق منه في اي بلد  
آخر ، وقد تألف بفضل هذا الاثر اول برلمان في اوروبا التي لم تعرف نظام  
البرلمان حتى ذلك الحين . وقد وضعت نماذج للحياة البلدية في مختلف المدن  
الاسپانية . وكان لكل مدينة من هذه المدن موازتها المستقلة ومحافظوها  
الم منتخبون وكانت في تلك الفترة من الزمن الزراعة العلمية والصناعات  
الواسعة كصناعة النسيج والمعادن والجلد آخذة في النمو والارتفاع في اوروبا  
وقد صحب نشوء الزراعة والصناعات نحو ارقي ملاحة عرفت في تلك الايام  
في اوروبا . تلك الملاحة التي يعود الفضل الاول لها في اكتشاف عظيم  
ذلك الاكتشاف الذي تم خص عنه ظهور العالم الجديد اي القارة الاميركية !!  
وما انتهى صديقنا طريف من حديثه طلبت اليه رباب ان يسترسل  
في الحديث وكان قد انقضى المزيع الثاني من الليل . ولكن صديقنا طريفاً  
اعتذر عن متابعة الحديث واستأنف جلسته رباب في العودة الى مسكنه  
ليأخذ لنفسه قسطاً من الهدوء والراحة والكلينة .

### الفصل الثاني

#### المؤرخ الاجتماعي ابن خلدون

وفي الامسية التالية اختلف صديقنا طريف الى منزل زميلته رباب

و بعد حديث في الجمالية كان يتخاله بعض النكات والطرف والملحوظ لا يدرى  
صدقينا طريف اطال هذا الحديث ام قصر . وما فرغ صديقنا طريف وزميله  
رباب من الحديث وحان وقت الدرس والمطالعة تناولت ربابة عن المنضدة  
مقدمة المؤرخ الاجتماعي الشهير وراحت تقرأ لصديقنا طريف ما شاء  
القراءة من فصوصها . وما تعبت ربابة من القراءة القت الكتاب في مكانه  
وقالت بلهجة يشوبها الملل والضجر :

« لم اظفر بشيء مما قرأت من مقدمة ابن خلدون يا طريف ولم تستوعب  
ذاكرتي من فصوصها شيئاً . ولا احب ان اقرأ مالا افهم يا طريف ولا  
ادرى لماذا لم اغفل من هذه المقدمة شيء ، ولعل عدم استيعابي  
ابسط ما جاء في هذه المقدمة يعود الى صعوبة موضوعها وتعقيد ابجاثها  
وجفاف اسلوب ابن خلدون . ولعل السبب الذي جعلني لم اغفل من هذه  
المقدمة لا بقليل ولا بكثير يعود الى قصور عندي في الفهم والادراك والى  
بلادة في الذهن وضعف في الذاكرة . فهل لك يا طريف ان تحدثنا عن  
ابن خلدون ومقامه في التاريخ ولو بأيجاز حتى يتسع لي ان افهم ما قرأت  
وان اقف على حقيقة أمر ابن خلدون الذي يعلا ذكره افواه الناشئة في  
الشرق والغرب »

فابتسم صديقنا طريف وراح يحاور زميلته ربابة والغبطة تملأ صدره  
لما لمسه عند ربابة من حب الاستطلاع والوقوف على حقائق الامور  
فاسترسل يحدها وقال :

« كان حديثي اليك يا ربابة بالامس القريب عن الحضارة العربية

والدور الذي مثلته في التاريخ وأثر هذه الحضارة في الحضارة الأوروبية  
الحديثة وارجو ان تكوني قد ظفرت بشيء من هذا الحديث . ولا بأس  
احديثك اليوم عن الفيلسوف العربي واضح حجر الزاوية في علم الاجتماع  
ابن خلدون . ويطول في الوقت اذا ما حدثتك عن ابن خلدون واستوفيت  
هذا الحديث ووفيت ابن خلدون حقه . وانا اقصر باعما يارباب من انت  
او في ابن خلدون حقه في مثل هذا الحديث القصير وان احيط في هذه الجلسة  
بكل ما آثره وهو ولا ريب يعتبر الأنس في الحضارة العربية بل ومن الحق  
ان اقول ان هذا العالمة يعتبر الأنس في الحضارة العالمية . ولا بأس يارباب  
ان أسوق اليك في هذه الجلسة القصيرة بعض ما يحضرني عن ابن خلدون  
فilinearof العرب غير مدافع وبلا منازع ولا شك يارباب ان الافكار التي  
ولدت في المدن الاسبانية كانت قد تعدد نطاق القرون الوسطى وكانت  
اسبق الى الظهور من البعث الاوروبي والقرن الثامن عشر في فرنسا .  
وكان ابرز الوجوه يارباب واكثرا تقدماً من هذه الناحية وجهه  
العالمة العربي مؤسس علم الاجتماع فilinearofنا ابن خلدون (١٤٠٦-١٣٣٢)  
وكان ابن خلدون في وقت واحد كما يشهد التاريخ وهو خير الشاهدين عالماً  
وفناناً ومحارباً وفقيراً وفيلسوفاً ، وليس من المبالغة في شيء يارباب اذا  
ما قلت وجزمت في القول ان ابن خلدون كان يشبه باتساع معارفه وشمول  
اطلاعه وقوه عقريته وهو ابن الرابع عشر جباره عصر البعث الحديث .  
وقد ولد فilinearofنا العظيم يارباب في تونس عام ١٣٣٢ وتوفي ١٤٠٦م  
وقد تلقى علومه في تونس ايضاً وهي مسقط رأسه . وقد ارغم ابن خلدون

الطاغية الفاتح العنيف تيمور لنك نفسه على ان يقف امامه موقف الاحترام  
والاعجاب والاجلال وان يتركه وشأنه ليغادر دمشق مع اصحابه في  
غضون سنة ١٤٠٠ م .

وعندما يقرأ الغربي « مقدمة ابن خلدون » التي طرحتها ارضاً يا  
رباب دونما اكتراش وتقدير يرى فيه وهو ابن القرن الرابع عشر كا  
اسلفنا سابقاً لما كيافيل وديكارت ومونسكيو بثلاثة قرون .

تعالى معي يا ربب وانظرني الى ابن خلدون كيف يتسائل عندما وضع  
المعضلة السياسية بشكل عيني وعلمي :

- كيف يتوحد السلطان ؟

- ما هو منشأ الدولة ؟

- كيف تأسس دولة ما !

وفي هذا التساؤل ارى أن ابن خلدون قد بلغ بتفكيره درجة لم يبلغ عليها  
في خلال القرن السادس عشر ما كيافيل في كتابه « الامير » .

وارى يا ربب ان ابن خلدون حيناً وضع القواعد الضرورية للتاريخ  
العلمي وعلم الاجتماع ، قد ضاهى مونسكيو وكان اسبق منه الى هذا العلم  
الذى أشار اليه مونسكيو في كتابه « روح القوانين » . ويكتفى ابن  
خلدون فخراً انه كان السابق الى تعریف النقد التاريخي في حين لم تكن  
اوروبا تعرف فيه الا رواة الاخبار ، فقال :

« ان فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الامم والاجيال ، وتشتد  
الرکائز والرحال ، وتسمى الى معرفته السوقه والاغفال ، وتنافس فيه

## الملوك والآقىال .

اذ هو في ظاهره : لا يزيد عن أخبار الايام والدول ، والسوابق من القرون الاول ، تنمو فيها الاقوال ، وتضرب فيها الامثال ، وتنظر فيها الاندية اذا غصها الاحتفال ، وتوتدى لفاثان الخلقة كيف تلماست بها الاحوال ، واتسع للدول فيها النطاق وال المجال ، وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال .

وفي باطنها : نظر وتحقيق ، وتحليل للكلائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الواقع واسبابها عميق ، فهو بذلك اصيل في الحكمة وعربيق ، وجدير بان يعد في علومها وخلائق ... » .

ويعتقد ابن خلدون ان اكثـر المؤرخين الذين سبقوه ، ويرى اـن فـن التـاريـخ صـار عـلـى ايـديـهم واهـياـ وـمـختـلطـاـ وـمـنـتـحـلاـ ، ثـم يـبـين ضـرـورـة تـحـيـصـ الـاخـبـارـ وـتـعـلـيـلـ الـوقـائـعـ ، مـعـدـاـ الـاغـلاـطـ وـالـاوـهـامـ الـتي يـقـعـ فـيـهاـ المؤـرـخـونـ وـالـاسـبـابـ الـتـي تـحـسـلـهـمـ عـلـىـ ذـلـكـ ، مـبـيـنـاـ الـطـرـقـ الـتـي يـحـبـ اـتـبـاعـهاـ فـيـ تـقـيـيـ الحقـائـقـ وـتـميـزـ الصـدقـ منـ الـكـذـبـ وـاهـمـهاـ مـعـرـفـةـ طـبـانـ العـمـرـانـ ايـ سـنـنـهـ الـتـي يـجـريـ عـلـيـهاـ «ـ فـالـقـانـونـ فـيـ تـميـزـ الـحـقـ مـنـ الـبـاطـلـ فـيـ الـاخـبـارـ بـالـامـكـانـ وـالـاسـتـحـالـةـ ، اـنـ نـنـظـرـ فـيـ الـاجـمـاعـ الـبـشـريـ هوـ الـعـمـرـانـ ، وـتـميـزـ ماـ يـلـحـقـهـ مـنـ الـاحـوالـ لـذـاتهـ وـبـمـقـتضـيـ طـبـعـهـ ، وـمـاـ يـكـونـ عـارـضاـ لـاـ يـعـتـدـ بـهـ وـمـاـ لـيـكـنـ اـنـ يـعـرـضـ لـهـ . وـاـذـ فـعـلـنـاـ ذـلـكـ ، كـانـ ذـلـكـ لـنـاـ قـانـونـاـ فـيـ تـميـزـ الـحـقـ مـنـ الـبـاطـلـ فـيـ الـاخـبـارـ ، وـالـصـدقـ مـنـ الـكـذـبـ ، بـوـجـهـ بـرهـانـ لـاـ مـدـخـلـ لـلـشـكـ فـيـهـ » (ص ٣٧ - ٣٨) ويـقـولـ فـيـ مـكـانـ آـخـرـ :

« وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق ، فان نطاقه اوسع شيء فلا يفرض حدأً بين الواقعات ، واما مرادنا الامكان بحسب المادة للشيء !  
(ص ١٨٢ - المغرب )

والحق ان لهجة المقدمة تستدعي الى الذهن بقعة لا تقاوم لهجة :  
« خطاب في المنهج » لديكارت . وهكذا نجد يا رباب انه بينما كاتب التاريخ في اوروبا حتى منتصف القرن الثامن عشر ، روائياً ووصفياً محضًا ، وضع ابن خلدون في القرن الرابع عشر مفهوماً للتاريخ الذي يشرح الامور ويعمل اسبابها :

« أنشأت في التاريخ كتاباً ... سلكت في ترتيبه وتبويه مسلكاً غريباً واخترنته من بين المناحي مذهبًا عجيباً ، وطريقاً مبتعداً واسلاباً . استوعب اخبار الخليقة استيعاباً ، وذلل الحكم النافرة صعاباً ، واعطى خواتم الدول اسباباً ... ». « لم اترك شيئاً في اولية الاجيال والدول ، وتعاصر الامم الاول واسباب التصرف والتحول ، من القرون الخالية والمملوءة ، وما يعرض في العمران من دولة وملة ، ومدينة وحلة ، وعزلة وذلة ، وكثرة وقلة ، وعلم وصناعة ، وكسب واضاعة ، واحوال متقلبة مشاعة ، وبدو وحضر ، وواقع منتظر ، الا استوعبت جمله ، واوضحت برائيته وعلمه ... » وليس من المبالغة في شيء يا رباب اذا ما انصفتنا ابن خلدون وقلنا ان ابن خلدون لم يضع فلسفة للتاريخ فحسب بل دشن التاريخ العلمي واسس علم الاجتماع .

ويبدو ان الملاحظة عند ابن خلدون كانت تطغى على الاحكام

المجردة . وقد سجل ابن خلدون بدقة لم يسبقه إليها أحد تأثير البيئة الطبيعية والظواهر الاقتصادية في حياة الأمم . وعلاوة على هذا نراه قد درس تركيب المجتمعات المؤسسة على التعاون الاقتصادي وتقسيم العمل . وصنف الشعوب والمجتمعات بالنسبة لطريقة انتاجها الاقتصادي . وانه ليضع هذا التعريف الواضح الذي هو أحد مبادئ المادية التاريخية :

« ان اختلاف الأجيال في أحوالهم ، إنما هو باختلاف خلتهم من المعاش . راجع المقدمة (ص ١٢٠) ... « فان اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله راجع المقدمة (ص ١٢) ... » .

#### الفصل الثاني

### انهيار الحضارة العربية

وما كاد صديقنا طريف يفرغ من حديثه عن المؤرخ الاجتماعي ابن خلدون حتى قالت له رباب :

« الآن شعرت يا طريف بقيمة العرب التاريخية وادركت الآخر الذي أحدثه الحضارة العربية في غيرها من حضارات الأمم ووقفت على الدور الذي مثلته هذه الحضارة في التاريخ . ولكن معضلة اشكل عليّ فهمها وهذه المعضلة التي ادت إلى انهيار الحضارة العربية وتأخر العرب في ركب الحضارة الحديثة فهل لك يا طريف أن تعلل هذه الأسباب وإن تخل لنا هذه المشكلة الخطيرة التي نزلت بصرح الحضارة العربية إلى الحضيض » وهنا ابتسם صديقنا طريف ابتسامة لا تم عن الرضا وود لو ينتهي

الحديث مع رباب وان تقف رباب عند هذا الحد لان حديثها مع صديقنا  
طريف كان قد طال . وكان صديقنا طريف قد شعر بالتعب والتعاس .  
ولكن صديقنا طريف ألقى نفسه في مأزق حرج لا يستطيع الخلاص منه  
فراح يحدث رباب وهو يحوقل في نفسه ( لا حول ولا قوة الا بالله )  
فقال :

« لقد بلغت الحضارة العربية المشرقة يا رب اب عنفوان فجرها وذرؤة  
سُوددها في القرن الحادي عشر للميلاد . والظاهرة الغربية يا رب اب انت  
انهيار الحضارة العربية بدأ في الوقت عينه . وتعود اسباب تداعي الحضارة  
العربية للانهيار الى الفوضى والبلبلة التي سادت الامبراطورية العربية في  
ذلك الحين والاضطراب الذي نتج عن تجزئته السلطة بين اخلفاء . وقد  
حطمت هذه العوامل محور العلاقات الاقتصادية في الامبراطورية العربية .  
واخذ نطاق هذا المحور الاقتصادي ينكمش شيئاً فشيئاً وينطوي على ذاته  
وراقت هذا الانكماش الاقتصادي الحواجز التي قامت حوله في كل اقليم  
من اقاليم هذه الامبراطورية الشاسعة الاطراف وبهذا اصبح انتاج البضائع  
المحلية لا فائدة ترجى منه . وذلك لأن الاسواق المحلية لا تستوعب هذا  
الانتاج ولا قدرة لها على استهلاكه . ولهذا رأينا يا رب اب المقاطعات المختلفة  
التي كان يحكمها العرب انكمشت على نفسها وعادت تعمل ضمن دائرة  
نطاق الصناعات المحلية الضيقه والاقتصاد الزراعي والنظام القطاعي . وما  
كادت يا رب هذه الامبراطورية المتراوحة الاطراف التي كان ينقصها  
المسك الداخلي ، تعود القهرى الى النظم القطاعية واصبحت الامبراطورية

العربية على اثر هذه النكسة لقمة مانعة لغزوات الصليبيين من الغرب وفرصة سهلة المنال لغزوات تيمورلنك والمغول من الشرق . فاسدل بذلك الستار على اروع فصل من تاريخ الحضارة العربية بل من تاريخ الحضارة البشرية ايضاً وما زاد الطين بلة يا رباب رزوح الامة العربية تحت نير الاستعمار العثماني والاستعمار الغربي مدة خمسة قرون ونصف القرن هذا الاستعمار الذي اضعف الثقافة القومية وموارد البلاد الاقتصادية . وقطع الانجليز والفرنسيون الوطن العربي الكبير ار بآ او باً ومن قوه اشلاقاً فخلقاً من الوطن الواحد او طاناً وما زال الرجعيون من العرب يتمسكون بهذه الكيانات السياسية المهزولة التي اولتها معاهدة سايس ييكو .

وراج المستعمر الغربي يسمى العرب سوء العذاب ويقتل نشاطهم القومي حتى اصبح البعض مما يعتقد ان العرب لا يصلحون للحياة وانهم قوم وصلوا من الخمول وعدم الشعور بالمستقبل الى حد لم يصل اليه سواهم . ولعل مرد ذلك يا رباب ان زعماء العرب اكتفوا بمعالجة مشاكلهم بأساليب الارتجال والاعتباط وانهم وصلوا من السذاجة الى ما لم يصل اليه سواهم حتى استطاعت بريطانيا الدنيا ان تخذلهم في الحرب العالمية الاولى وقد وقفوا الى جانبها على ان تمنح بريطانيا الغير عظمى البلاد العربية استقلالها اذا ما تم النصر لها . لكن بريطانيا المراوغة لم تتقييد بالعهود والوعود التي قطعتها على نفسها للسلطان حسين فقادمت فرنسا الوطن العربي وفرضت بريطانيا اندابها على فلسطين وشرق الاردن والعراق وفرضت فرنسا اندابها على سوريا ولبنان . والانكى من ذلك يا رباب ان بريطانيا وفرنسا قد

لقد تنا نصوص الانتداب وحكمتها بلادنا بوسائل استعمارية . وعلينا يارب اباب  
اذا اردنا ان نترجع مجدنا ونساهم في بعث الحضارة الانسانية ان نكون  
سواسية كاسنان المشرط امام القانون وفي الحقوق والواجبات وان نضرب  
صفحًا عن اساليب الارتجال والتبعج وان نطبق العلم والمنطق في مرافق  
حياتنا هذا العلم الذي طبقه الدكتور وايزمن في جميع مراحل الصهيونية وقد  
طبقه ايضاً في الجامعة العبرية في القدس . وعلينا ان نعم الصناعة في بلادنا  
وان نقوى اقتصادياتنا . ونحن على يقين يا رب من ان ازدهار الثقافة  
والحضارة العربية منذ القرن الثامن الى القرن الخامس عشر لاميلاد ، ذلك  
الازدهار العظيم ليكذبوا قاطعاً اصحاب « الأحكام العرقية »  
ونظرياتهم في انحطاط بعض العروق ولا سيما العرق السامي الذي تحدرت  
منه الامة العربية .

ان الماضي الجيد الذي كان للحضارة العربية ليبرهن بصورة لا تقبل  
الجدل على ان العرب يستطيعون ان يساهموا مساهمة كبيرة في ولادة  
حضارة اصلية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بثقافات الثقافة العربية القديمة وتراثها  
العربي ، كما ترتبط بفتحات الحضارة الغربية المعاصرة .

وعلى الشبيبة العربية يا رب اباب ان تدرك خطر المسؤولية الملقاة على  
عواتقها وعليها ان تخلق لامتها حضارة تتلاءم وروح العصر الحديث وان لا  
توقف امام التيار فتعود القهقرى . وعلى هذه الشبيبة يا رب اباب الا تزج نفسها  
في الجحرة العالمية القادمة التي لا ناقة لنا فيها ولا جمل . وعلينا الانجذب الى احد

المسكرين المتنازعين وان فلزم الحياد المسلح . لا لا يا رباب لن نسير  
الى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الثالثة ولن نؤمن بعد اليوم بطيبية  
الغرب وسلامة طويته كما كان شأن كهولنا . وكيف نحسن الفتن بالغرب  
وقد وضعت بريطانيا حجر الزاوية للوطن القومي لليهود في فلسطين .  
وكيف نحسن الفتن بهذه الدولة وقد استاغت تشريد زهاء مليون نسمة  
من عرب فلسطين من ديارهم . كيف نحسن الفتن ببريطانيا يا رباب وقد  
وقفت موقفاً عدائياً من قضية فلسطين في اروقة هيئة الامم المتحدة . كيف  
نحسن الفتن ببريطانيا التي لا تزال تسير في سياستها الخارجية باماليب القرن  
الحادي عشر الاستعمارية . ان بريطانيا يا رباب دولة فعية تضع مصلحتها  
فوق مصلحة كل الشعوب ولو كان في مصلحتها اجحاف بصالح الشعوب  
الاخري وهي لاتقيم وزناً للمباديء الأخلاقية والعبود التي تتطلعها على نفسها .  
ولن نؤمن ايضا يا رباب بعدلة الولايات المتحدة الاميركية التي اخذت يهد  
اسرائيل وعاونتها مادياً ومعنوياً ولا بد لي ان اصارح اميركا واقول لساحتها  
ان بلادهم بلاد الحرية الزائفة والعدالة المختلفة هذه العدالة التي تقبل بتشريد  
مليون انسان من عرب فلسطين كانوا آمنين مطمئنين في ديارهم ولا بد  
لي يا رباب ان اذكرك بدولة غربية اخرى لا تزال تتشبث بالعقلية  
الاستعمارية القديمة وتطبق اساليب الاستعمار الغاشمة في المغرب العربي وهي  
فرنسا التي تهتف بالمرصاد للنزعات التحريرية في المغرب العربي وتعميمها

بالعنف والقوة ولكن ارادة الشعوب يا رب لا تقاوم فان كانت الغرب  
يملك الطاقة الذرية فنحن نملك طاقة الحياة !!!  
وان ارادة الشعوب العربية وقوه عزيزه شبيتها كفيتان بطرد فرنسا  
من المغرب العربي وبخروج بريطانيا من ترعة السويس وشرق الاردن  
والعراق وسائر الامارات العربية شاءت ام أبت !!!

(انتهى )



[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)



مكتبة لسان العرب

# فهرس

•

## صفحة

٤	الاهداء
٥	تمهيد
احاديث سياسية	
٩	الامة العربية والدول الاستعمارية
١٩	ذكرى منتصف أيام
٢١	مشروع التوطين مؤامرة استعمارية ضد العرب
احاديث فلسفية	
٢٤	هل حاول الفارابي التوفيق بين الحكمة والشريعة
٢٨	بين الفلسفة الميتافيزيقية والفلسفة المادية
٣١	الاشراكية في الاسلام
احاديث اجتماعية	
٣٣	أثر السينما في الناشئة

صفحة

٣٥

ايتها الفتاة هيا الى العلم والعمل

٣٩

نصيحة لأمهات المستقبل

احاديث ادبية

٤٤

جهل للتاريخ

٤٦

ايها اخلص للآخر : الرجل ام المرأة ؟

٥٠

جولات في الشعر الغزلي

احاديث في الحضارة العربية

٦٨

حقائق يجب ان تعرف

٩٠

المورخ الاجتماعي ابن خلدون

٩٦

انهيار الحضارة العربية

